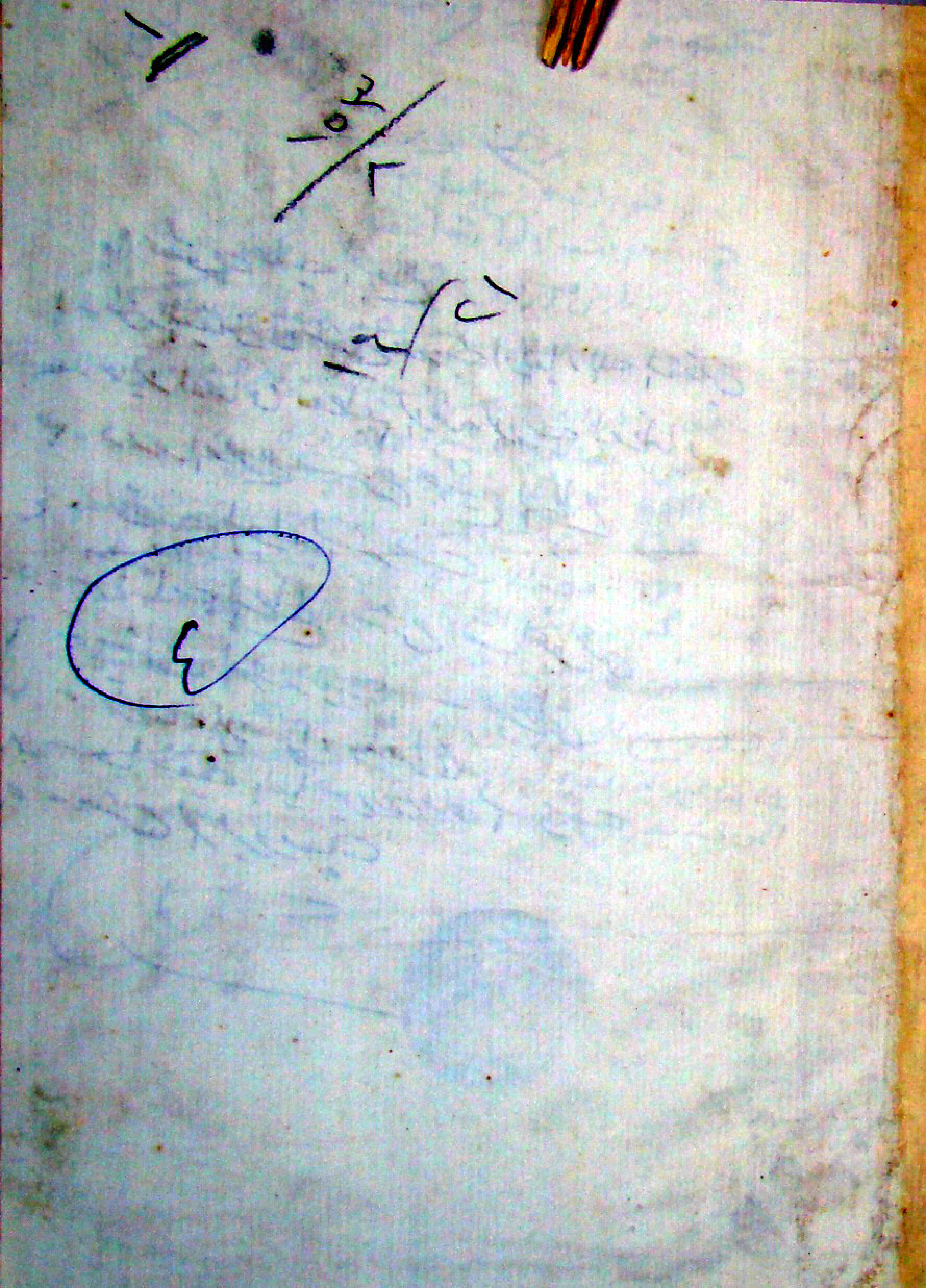

١٥٣
٨٠


http://albordj.blogspot.com



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

**قال الشيخ الفقيه الإمام العالم المتفنن العارف الناسك الزاهد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني رحمه الله تعالى**

**الحمد لله** الذي منّ على الإنسان بمزايا المعارف والإحسان. واختص أولياءه بالتوصل إليه بشواهد الامتنان. فلاذ من ابتغاه والبه بسلاسل الامتحان. وأهّل طائفة منهم لإدراك العلوم. فخاضوا في المنقول منها والمفهوم. واطلعهم على لطائف حكم مصنوعاته. وإدراك الوحدانية من شواهد مخلوقاته. المشهد. كنت كنزا لم أعرف فخلقت الخلق لأعرف. وقال الهم على لسان نبيه المبين. وأيدهم عزمها بسنة سيد المرسلين. وشيد لهم أصول الشريعة بكتابه المخصوص بجوامع الكلم المصونة. **محمد** المبعوث إلى الخلائق أجمعين. الحاوية لما اشتملت عليه من الدرر المكنونة. صلى الله عليه وعلى آله أعلام الهدى. الذين أنقذ الله بهم من الضلالة والردى. صلاة بها نحوز الأمان. وننال الفوز بعد انقضاء الآجال. ما انسكب غمام. متصلة يتزايد وتتضاعف. ودوم نعم به الأيام والليالي. **وبعد** فإن أهم ما تصرف إليه الهمم العوالي. وأولى ما العلم الذي هو غاية الكمال. والسبب في نيل السعادة الأبدية وبلوغ الآمال. وأحق ذلك كله بالتقديم. وأسبقه في استيجاب التجليل والتعظيم. ما جعله الشارع صلوات الله وسلامه عليه هاديا. وأمرنا أن نتمسك به عند تشعب الأهواء. واختلاف المذاهب والأنحاء اعتقادا. كتاب الله وسنة نبيه المقول فيهما تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما سلك الله بنا من صراطهما المستقيم نهجهما المبين القويم **ولما** جرى في بعض المجالس المعتمة لقراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث تقصر الأفهام عن إدراك مقاصده. وتقف عند نقله فحول العلماء. ولا يعرفونه. وهو مما أخرجه الإمام العالم العلامة الحافظ أبو نعيم رحمه الله في كتابه الحلية له وسأذكر نصه بعد إن شاء الله تعالى أوردني فيه بعض الفضلاء أنحاء في وجوها من الإشكال بحيث الإبهام من أجلها مع التعمية الكلال. وسأذكرها بعد شرح ألفاظ الحديث إن شاء الله تعالى فتكلمت بما عنّ

لي

الفضلاء بمبلغ علمهم فيه وكتبت من بلغه خبره فأظهرت ما سنح به الخاطر من فوائد ولم أكن أخفيه وجعلت الكلام فيه مرتبا على مقدمة وواسطة وخاتمة **وسميته** بنور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتقين. والله المسؤول في التوفيق في القول والعمل والعصمة من الخطأ والزلل إنه ولي التوفيق والهداية إلى سواء الطريق.

**المقدمة** وفيها فصلان **الأول** في فضل علم الحديث **اعلم** وفقنا الله أن علم الحديث علم لا يدرك شأوه ولا يقضى ما بادؤه وإن كثر من فضائله بعض ما يقضى في ذلك وكفى بحديث المصطفى شرفا وقدرا أن دل على فضله الكتاب والسنة وإجماع الأمة أما الكتاب فمن ذلك قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا أمر سبحانه بتلقي ما أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم وإنما يتلقى ذلك من الأخبار المنقولة والآثار المشهورة ومنه من يطع الرسول فقد أطاع الله وإنما تحصل الطاعة بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ولا يعرف ذلك إلا بما روي عنه صلى الله عليه وسلم ومنه قوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون وأما السنة فمن ذلك ما أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي والحافظ أبو نعيم الأصبهاني وأبو عمر بن عبد البر وأبو بكر الآجري وغيرهم من طرق عن معاذ بن جبل وأبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفظ على أمتي أربعين حديثا مما يحتاجون إليه وفي بعض الطرق من أمر دينها وفي بعضها من دينهم وفي بعضها في السنن وفي بعضها بعثه الله بها كنت له شفيعا يوم القيامة وفي رواية قيل له ادخل من أي أبواب الجنة شئت وفي رواية بعثه الله فقيها عالما وللأئمة في معنى الحديث كلام يطول جلبه فاذكروا ما يحصل من الفضل لمن حصل معنى العدد بالحفظ وجعله ذخيرته ومن ذلك حديث أبي عمير(?) من قوله صلى الله عليه وسلم بلغوا عني ولو آية فهذا أمر وأقل مراتبه الندب إن لم يكن للوجوب والظاهر أنه للوجوب مثل قوله عليه السلام إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ليبلغ الشاهد الغائب ومنه ما أخرجه الحافظ الخطيب ابن ثابت وأبو عمر بن عبد البر والسلفي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه كان إذا أتاه أصحاب الحديث قال مرحبا بأهل وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا وما وصية رسول الله قال يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه سيأتي من بعدي قوم يسألونكم الحديث عني فإذا جاؤوكم فالطفوا

لهم وحدثوهم وفي رواية انه كان يقول مرحبا ان نحدثكم الحديث ونوسع لكم في المجالس ونفهمه
ما اخرجه الحافظ الخطيب ابن ثابت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بدأ الاسلام غريبا
وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء فقلنا يا رسول الله ومن الغرباء فقال الذين يحيون سنتي
من بعدي ويعلمونها عباد الله ومنه ما اخرجه احمد بن حنبل الامام من حديث انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفترق امتي على نيف وسبعين فرقة كلها في النار الا فرقة قال
احمد ان لم يكونوا اصحاب الحديث فمن هم قيل ويدل على هذا التأويل ما روي مرفوعا انه قيل
يا رسول الله من هم قال ما انا عليه واصحابي ومنه ما اخرجه الحفاظ المذكورون
قبل عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اللهم ارحم خلفائي قلنا يا رسول الله من هم خلفاؤك قال الذين يروون احاديثي ويعلمونها
الناس ومنه ما اخرجه الترمذي عن عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله
عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ
اوعى من سامع هذا لفظ ابن مسعود وفي رواية لزيد فرب حامل فقه الى من هو افقه منه
ورب حامل فقه ليس بفقيه ومنه ما اخرجه الحفاظ من رواية انس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اولاكم بي يوم القيامة من اهوالها اكثركم علي صلاة
في دار الدنيا قال ابو حاتم البستي في هذا الخبر فضيلة لاصحاب الحديث لانهم اكثر الناس صلاة عليه صلى الله عليه
وسلم واما الاثار فيه فاكثر من ان تتبع واما ما روي في فضله من كلام الائمة فشيء
لا يحصى منه قول وكيع لولا ان الحديث عندي افضل من التسبيح ما حدثت وسئل
احمد بن حنبل ايما احب اليك الرجل يكتب الحديث او يصوم ويصلي قال يكتب الحديث فقيل
له من اين فضلته قال من اجل دروس العلم بالسنة وخمولها وظهور البدع واستيلاء اهلها وروي
ان الرازي فقيهي قال كان بعض اشياخي اذا اشكل شيئا يقول ائتوني باصحاب الحديث استشفع
بهم والمحفوظ في هذا الباب واسع جدا واما ما انشد القوم في المعنى فكثير ومنها

علم الحديث له فضل ومنقبة ... نال العلاء به من كان معتنيا
ما جاز كامل الدين نقصه ... او جاز عاطل الدين به حليا

**الفصل الثاني** فيما يحتاج طالب الحديث الى معرفته **اعلم** ان للمحدثين اصطلا
حات وعندهم القاب للحديث معروفة يتعين على طالبه معرفتها كما ان لكل علم كذلك

فلنذكر



فلنذكر نوعا مختصرا يعرف منه المشهور من القابه وهي ثلاثون الاول **المسند** سنده من
وهو على ثلاثة اوجه ما اتصل راويه الى منتهاه واكثر استعماله فيما جاء عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم او ما اتصل سنده مرفوعا اليه او ما رفع متصلا كان او منقطعا وهو
صحيح وحسن وضعيف وسيأتي تفسير الثلاثة ان شاء الله الثاني **المتصل**
او الموصول وهو ما اتصل سنده بسماع كل راو ممن فوقه الى منتهاه او اجازته على
القول بها وعليه الاكثر مرفوعا كان او موقوفا وفيه الثلاثة الثالث **المرفوع**
وهو ما اضيف اليه صلى الله عليه وسلم خاصة من قول او فعل او تقرير متصلا او منقطعا
وقيل ما اخبر به الصحابي عنه صلى الله عليه وسلم الرابع **الموقوف** وهو عند
الاطلاق ما روي عن الصحابي من قوله او فعله متصلا او منقطعا ويستعمل في غير الصحابي
الخامس **المقطوع** وهو ما جاء عن التابعي من قول او فعل موقوفا عليه
واستعمله الشافعي في المنقطع وليس بحجة السادس **المرسل** قول التابعي
الكبير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعضهم في التابعي خلافه منقطعا او معضلا
وفيه ستة فروع فلتنظر في المطولات السابع **المنقطع** ما لم يتصل سنده كيف
كان اذا رواه من دون التابعي مثل مالك عن ابن عمر وقيل ما دخل فيه قبل التابعي رجل
مبهم سواء كان محذوفا كالشافعي عن الزهري او مبهما كمالك عن رجل عن الزهري وقيل هو
الموقوف على التابعي او من دونه الثامن **المعضل** ما سقط من اسناده اثنان
فصاعدا التاسع **المعنعن** ما يقال في اسناده فلان عن فلان قيل انه مرسل
والصحيح انه متصل وعليه الجمهور اذا امكنت ملاقاتهما وسلموا من التدليس وعن
البخاري ومسلم انه متصل وحكي الاجماع في اتصاله وليس بصحيح العاشر
**المعلق** وهو ما حذف من مبتدأ اسناده واحد او اكثر كقول الشافعي نافع او ابن
عمر مأخوذ من تعليق الجدار او الطلاق لاشتراكهما في قطع الاتصال الحادي عشر
**الشاذ** قال الشافعي ما رواه الثقة مخالفا لما رواه الناس ابو الصلاح وانفرد به
من ليس ضابطا او ثقة وقيل ما ليس له الا اسناد واحد يشذ به ثقة او غير ثقة
الثاني عشر **المنكر** ما انفرد به واحد غير ثقة ولا ضابط الثالث عشر
الافراد وهو قسمان فرد عن جميع الرواة مثل تفرد به ابو هريرة وفرد من جهة مثل تفرد

به اهل مكة عن فلان :. السابع عشر **المعلل** ما فيه سبب قادح غامض وظاهره
السلامة ويتمكن منه اهل الحفظ والخبرة :. الخامس عشر **المضطرب** الذي
يروى على اوجه مختلفة في المتن او السند متقاربة فان ترجح احدها فلا اضطراب وهو ضعيف
السادس عشر **المدرج** وهو اقسام ما ادرج في الحديث من كلام الراوي فيظن انه
من بعده متصلا بيوم انه منه او يكون باسنادين فيرويهما بسند واحد او يدرج الروايات
المختلفة على الاتفاق ولا يذكر الاختلاف وهو حرام :. السابع عشر **المقلوب**
وهو ان يكون الحديث مشهورا عن راو فيجعل بدله اخر ليرغب فيه مثل عن سالم فيجعل عن نافع
وهو حرام :. الثامن عشر **الموضوع** وهو شرها وهو المختلق لا تحل روايته
في اي معنى كان الا مع التبيين به بخلاف غيره من الضعيف المحتمل الصدق فانه يجوز في
الترغيب والترهيب عند قوم ويعرف الوضع باقرار واضعه او العلم بالراوي :. التاسع عشر
المشهور ما اشتهر عند اهل الحديث خاصة كحديث بريرة او عندهم وعند غيرهم كانما الاعمال
ثم هذا الثاني متواتر وغير متواتر فالمتواتر كوقعة بدر وغيرها كحديث الاعمال والمحدثون
لا يذكرون المتواتر ولعله لقلته عندهم وحديث من كذب علي متعمدا رواه نيف وستون
من الصحابة منهم العشرة وقيل مائتان :. العشرون **الغريب** ما انفرد به واحد
انفرد بروايته او بزيادة فيه وهو غريب المتن والاسناد وغريب الاسناد لا المتن ولا يوجد
غريب المتن لا الاسناد :. الحادي والعشرون **العزيز** ما انفرد بروايته اثنان
او ثلاثة دون سائر رواة المروي عنه :. الثاني والعشرون **المصحف** وهو ما
فيه تغيير لفظا او معنى :. الثالث والعشرون **المسلسل** وهو ما تتابع
رجال اسناده عند روايته على حالة او صفة وهو من المستحسن عند المحدثين :. الرابع
والعشرون **زيادة الثقة العدل** الخامس والعشرون **الاعتبار** وهو المختبر
بالتكلم الوضيع :. السادس والعشرون **المتابعة** وهي خلاف الشواهد الا انها غير
مفصورة :. السابع والعشرون **الشواهد** وفيها فصول معظمها كتب الحديث
الثامن والعشرون **مختلف الحديث** وهو من انواعه :. التاسع والعشرون
**الناسخ والمنسوخ** الثلاثون **غريب اللفظ** وهو من اعظم علومه وان عدمن
انواعه مهذا وقد بقيت القاب كثيرة غير ان ما ذكرناه هو المشهور المتداول على

المشتهر

٤

السنة هو ابن الكاتب الحديث من مغربية من الالغاب وقد جمعها الامام ابو العباس بن
فرح الاشبيلي في ابيات مشهورة اثبات له واحسن فيها وهي قصيدة مشهورة **و** مما
يليق بهذا المعنى ويتأكد كونه التنبيه على مسائل الاولى قال الحافظ ابو عمرو
بن الصلاح ما معناه اعلم ان الرواية بالاسانيد المتصلة ليس المقصود منها في عصرنا
اثبات ما يروى اذ لا يخلو الاسناد من ان يشتمل على شيخ لا يدري ما يرويه ولا يضبط ما في كتابه
ضبطا يعتمد عليه وانما المقصود سلسلة الاسناد التي خصت الله بها هذه الامة زادها
الله كرامة وانه حسب المستدل ان يعتمد على اصل ثابت الصحة مقابل على يد ثقات
باصول صحيحة فانها على هذا الوجه لكثرة التداول لا شتهارها تتنزل منزلة المتواتر وهذه
فائدة الاسناد الان :. الثانية قال الخطابي رحمه الله الحديث على ثلاثة اقسام
صحيح وحسن وسقيم فالصحيح ما اتصل سنده وعدلت نقلته والحسن ما عرف
مخرجه واشتهر رجاله وعليه مدار اكثر الحديث وهو الذي يحتج به العلماء والفقهاء
والسقيم على طبقات شرها الموضوع ثم المقطوع ثم المجهول وللحاكم ابي عبد الله
كلام في الصحيح غير كلام الخطابي :. الثالثة في نقلة الحديث قال الحافظ ابو علي
الغساني نقلة الحديث سبع طبقات ثلاث مقبولة وثلاث متروكة وطبقة مختلف فيها
فالثلاث المقبولة رواية الائمة الحفاظ الذين هم حجة على من خالفهم ويقبل انفرادهم
الثانية دونهم في الحفظ والضبط لحقهم في بعض رواياتهم وهم او غلط وغالب حديثهم
الصحة فيصح ما وهموا فيه فهؤلاء لا يلحقون بالطبقة الاولى الثالثة طائفة جنحت
الى مذهب اهل الاهواء لكنهم ليست بغالية ولا داعية وصح حديثها وثبت صدقها وقل
وهمها فقال وعلى هذه الطبقات الثلاث يدور الحديث وثلاث طبقات سقط
اعتبارها عند المحدثين الاولى من وسم بالكذب ووضع الحديث الثانية من غلب عليه الوهم
والغلط الثالثة طائفة غلت في البدعة ودعت اليها وحرفت الرواية وزادت فيها ليحتجوا
بها فهذه ثلاث طبقات متروكة واما السابعة المختلف فيها فقوم مجهولون
انفردوا بروايات لم يتابعوا عليها فقبلهم قوم وردهم قوم ووقف اخرون انتهى ما قاله
الحافظ ابو علي وللامام محيي الدين النووي اعتراض على بعض هذه الفصول فاذا
احكمت علما بهذه المقدمة فاعلم انه ربما يختلج في ذهنك او يقول قائل ان هذا الحديث

الذي تصدى فيه لتخريجه ليس بصحيح لكونه لم يخرج في الصحيح وهذه مقالة لا ينبغي أن تصدر عمن له ذوق في هذا الشأن فإن نقد الحافظ بمعرفة حد الصحيح والحسن والضعيف تعلم أن هذا الحديث إن لم يكن صحيحا فهو حسن لصدق حد الحسن عليه إذ هو الذي عرف مخرجه واشتهر رجاله كما تقدم أما مخرجه فهو الحافظ أبو نعيم أحد أئمة الحفاظ المعتمد عليهم ومن رواة التصحيف به قبلنا له الفهرسات المشهورة في ... وهذا أنه غير مجهول وأما شهرة رجاله فهما سيأتي له في كتاب الحلية التي طبقت المشارق والمغارب بمنزلته بالتكلم في الرجال علم ليتكلم فيه وإلا فأنا أسلك فيه . إذا لم تستطع شيئا فدعه . وجاوزه إلى ما تستطيع . وقد علمت أيضا تفصيل العلماء في نقلة الحديث وأن الحافظ أبا نعيم من الطبقة الأولى الذين هم حجة على من خالفهم ويقبل انفرادهم فهو إذا لا يخرج عن كونه حجة أما الصدق حد الحسن عليه وهو حجة كما تقدم وأما الكون يخرج من النمط الأول من الحفاظ وهما كالمتنازع لشرق إنما هو في الجمع ولا ما منه فكثير الخطيب والآجري وابن عبد البر والبيهقي وغيرهم رضي الله عنهم وإن كان أقرب من بعض من ذكر وقد غنى بنا الكلام في المقدمة والحمد لله

**الواسطة** في شرح ألفاظ الحديث الكريم **أقول** والله المستعان خرج الحافظ أبو نعيم بإسناده عن عبد الله بن مسعود على ما نقلته من خط من نقله من الحلية بإذن المتقدمين الإحاطة تعذر علي في الحال ونص الحديث عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله عز وجل في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ولله تعالى في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام ولله تعالى في الخلق سبعة قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام ولله تعالى في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ولله تعالى في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ولله تعالى في الخلق واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة وإذا مات من الخمسة أبدل الله تعالى مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله تعالى مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل الله تعالى مكانه من الثلاثمائة وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله تعالى مكانه من العامة فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت ويدفع البلاء قيل لابن مسعود كيف يحيي ويميت قال لأنهم يسألون الله إكثار الأمم فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون ويسألون فينبت لهم

كيف يحيي

الأرض



الأرض ويدعون فيدفع عنهم البلاء **قوله** صلى الله عليه وسلم إن لله في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم **أقول** والله الموفق الخلق لغة لفظ مشترك بين معان كثيرة والذي يناسب منها هنا أنه بمعنى التقدير يقال خلقت الأديم إذا قدرته قبل القطع ومنه قول زهير . ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري . وقال الحجاج ما خلقت إلا فريت ولا وعدت إلا وفيت والخليقة الخلائق يقال هم خليقة الله وخلق الله أيضا وهو في الأصل مصدر كذا قال الجوهري **قلت** فهو من باب إطلاق المصدر على المفعول فقولهم خلق الله أي مخلوقه كدرهم ضرب الأمير ونسج اليمن ومنه النجوى أي المنجو ونقل الفخر عن الأزهري أنه ذكر أن ابن الأنباري قال يطلق على التقدير والتسوية واحتج بالكتاب والشعر والاستشهاد أما الكتاب فقوله تعالى أحسن الخالقين أي المقدرين وتخلقون إفكا أي تقدرون كذبا وإذ تخلق من الطين وأما الشعر فقول زهير ولأنت تفري ما خلقت البيت وأما الاستشهاد فيقال خلق النعل أي قدرها وسواها بالمقياس وقول العرب للأحاديث الكذب الخلق ومنه إن هذا إلا اختلاق والخلاق المقدار من الخير **قلت** ولعل منه وما له في الآخرة من خلاق وقال الجوهري فيه النصيب والصخرة الخلقاء الملساء لأن الملاسة استواء وفي الخشونة اختلاف قال أيضا وهو في الاصطلاح أيضا على ما قال جمهور أهل السنة عبارة عن الإيجاد والإنشاء واحتجوا عليه بقول المسلمين لا خالق إلا الله ولو كان عبارة عن التقدير لما صح ثم انتهى **قلت** وقد اختلف في الخلق أهو نسبة بين الخالق والمخلوق أم هو عين المخلوق والصحيح من كلام ابن الحاجب أنه نسبة وأنه التعلق الحاصل بين المخلوق والقدرة حال الإيجاد وفي بسطه وتحقيقه والرد عليه طول وذهبت المعتزلة إلى أن الخلق عين المخلوق وفي مختصر أن القرافي ذكر في التعليق أن هذا المذهب محكي للشيخ الأشعري قال وحقق هو أن هذا مذهب على الإطلاق وغيره عالم بمذهبه وإنما قصد الشيخ أن الخلق غير المخلوق في الخارج وأما في الذهن فهو غيره انتهى وبالجملة الخلاف فيه مبني على ثبوت الأعراض النسبية فمن قال بعدمها وهم المتكلمون على ما قال صاحب المحصل وغيره فالحق عليه أنه غير نسبة وأنه عين المخلوق ولهذا نسب هذا المذهب للشيخ والله أعلم وأما من قال بثبوته وهم الحكماء على ما نقل هو أيضا وغيره فالحق عنده أنه نسبة وقوله صلى الله عليه وسلم إن لله في الخلق في خلقه فإن في عن الفهم على مذهب الكوفيين

الغير

مثل فان الجنة هي المأوى اي ماواه ومفتحة لهم الابواب اي ابوابها وهو كثير ومذهب البصريين في مثل
هذه ان الضمير محذوف والتقدير هنا هي المأوى له والاول امكن ثم معناه انابة مخلوقة على
القول بانه عينه ولا اشكال فيه او في اثني خلفه على انه نسبة اذ هو حينئذ ثانيه فيكون في
جزء مضاف وللكلام على ترجيح احد المذهبين وتحقيق الحق في ذلك موضع غير هذا وقوله
صلى الله عليه ثلاثماية وما بعده من قوله اربع وسبعة وخمسة وثلاثة عن ان يذكر معه
المعدود والبعض في مثله ان يكون بالتاء المذكر وبعدمها للمونث فيما يكون فيه التاء على ما ذكر
ابو حيان وغيره من النحاة فتقول صمت خمسة تريد اياما وقمت خمسا تريد ليالي ويجوز حذف التاء
مع المذكر حكاه الكسائي عن ابي الجراح ومثله يحكي الفراء قال بعضهم ما حكياه لا يقع عن فصيح
قال ابو حيان ولا يلتفت اليه وقد تظافرت الروايات على حذف التاء من قوله صلى الله عليه وسلم
ثم اتبعه بست من شوال انتهى قلت وقد ورد في هذا الحديث جملة من الاعداد المذكور
فيه بالتاء الا ثلاث ماية فانه محذوف هو القياس في التمييز الزايد على ماية ان يقال ثلاث
ماية وكذا ما بعدها بالحذف للمذكر والمونث وثبوت التاء في كلامه صلى الله عليه وسلم في جما
قرا ثلاث ماية يدل على انه اراد المعدود المذكر واراه والله اعلم الرجال الادميين فلا مدخل
للنساء في ذلك لان التاء والضمير في قلوبهم يدلان على ان المعدود مذكر فان قلت
يجوز ان يدخلن على سبيل التغليب كما هو مذهب الحنابلة وهو معروف في كلامهم قلت
لا كنه مجاز فان قلت لا مانع لا كلا ان حقيقة قلت يلزم الاشتراك والمجاز اولى
منه على ما عرف لانه ثبت كونه حقيقة في المذكرين الجمع اتفاقا فيثبت ان مراده
صلى الله عليه وسلم الرجال وحينئذ فسواق الله المستعان ان في قوله صلى
الله عليه وسلم ثلاث ماية قلوبهم على قلب ادم من هذا العدد قال القضاة الحفايو على ما قيل
انه اول النعامة ولا شك ان ادم صلوات الله عليه اول الانبياء عليهم السلام واول موجود
من الادميين فوجه تشبيه قلوب هذا العدد بقلب ادم يشترك في تفريع مقدمة
وهي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن ربه عز وجل كنت كنزا لم اعرف فخلقت
الخلق لاعرف فخلق سبحانه وتعالى من المخلوقات ما لا يحيط بعلمه الا هو جلت قدرته وما
يعلم جنود ربك الا هو ثم خلق ادم عليه السلام وجعله ابا البشر وعلمه الاسماء كلها
كما قال ومعنى اما الاسماء حقيقة اي اسماء المسميات كما قاله غير واحد من المفسرين او

المسميات

المسميات اي المعاني ما هو مصلح وما هو مفسد وما هو نافع وما هو ضار وهذا يصلح لكذا
وهذا يصلح لكذا لاتما يكون ذلك ولا شك ان ادم يشترك في ان يتلقى ذلك منه بنوه مشافهة
واحدا بعد واحد كلهم وهو ادلهم لانه يمكن ان يتلقون من ابيهم لكن ربما تدعو الحاجة
الى معرفة كيفية احوال الحج جماعة مع الاجزاء وذلك ان المكلف نفسه لا يمكن ليس الخبر كالمعاينة
ثم لما كان اعمار الامم والقرون بكماله وهو ماية لا سيما وقد قال الاطباء ان طبيعة الانسان
التي ركبها التشعيه اذا كانت معتدلة من الاخلاط الاربعة لا يزيد احدها على الاخر ولا يكون
فيها ما يوجب فسادا فيقتضي ان يكون عمره ماية وعشرين سنة وهذا قريب مما ذكرناه فان قلت
قد نص القرآن بخلاف ذلك كما في حق نوح صلوات الله عليه قال تعالى فلبث فيهم الف سنة الا
خمسين عاما قالوا وكان عمره الفي سنة تنقص قليلا قلت من الانبياء فيما ذكرناه
فان الله على كل شيء قدير اكثر ما جرت به عادته سبحانه وكان الاكثر هو ما ذكرناه اثبت
ان اعمار الاعمار ماية وكانت الحاجة داعية الى تعرف احوال كل سنة سنة من الماية
وكانت الماية الاولى للاجداد والثانية للاولاد والثالثة للاحفاد فمن الحكمة البينة ان
يكون في القرن ماية رجل ويزيد على ذلك ليكون كل رجل موكلا بمعرفة احوال كل سنة على نحو ا
م معامع اشتراكه مع غيره في معرفة احوال غيرها ويكون خلو كل واحد في سنة او ما قرب من
ذلك لحفظ النسبة واذا كان الامر كذلك كان هذا اعون لحفظ مصالح العباد المخلوقين لمعرفة
الله تعالى تفضلا منه عليهم فان قلت من الجايز انقراضهم في سنة قلت نعم لا كن ما
جرت به العادة خلافه وقد قال الشافعي يجوز تاخير المكلف الحج الى الشاب الى الستة
والتشتين وكنه مات قال الشاني نسبناه فيهما بعض لاتو بين العام والعامين وفي الحرب باتفاق انما
يكون مع ظن السلامة ولو كان الغالبة وجود معه لما قال الحج يمشي يجوز واما مسايل الحجارات
والاكويه فالحق ينتقل فلا يضر بخلاف العبادات فلا يضر لعدم صحة النيابة وانتقال الحق
والله اعلم فعلم بهذا ان عدد ما يحفظ به مصالح العباد المتلقاة من ادم صلوات الله عليه هذا
العدد فهذا وجه اختصاص هذا العدد بتشبيه قلوبهم قلب ادم ومما يدل على ان
ثلاث ماية سنة مظنة تبدل الاشياء ودروس العلم ونسيان ما مضى من الامور لولا الكتب
او ما يقوم مقامه من الوحي قوله تعالى في شان اهل الكهف ولبثوا في كهفهم ثلاث ماية سنين
وازدادوا تسعا فلبثت ثلاث ماية والله اعلم كي لا يبقى من يعرفهم ولا خبرهم والتسعة

الزاين هي التي نشأ فيها من نشأ مع من بقي ممن تقدم قال قلت ما ذكرته من ان عدد ثلاثماية
هو مظنة دروس الامور مردود بما نبه الله عليه في كتابه من قصة عزير وغيره على الخلاف فيه
في قوله او كالذي مر على قرية الاية فقال سبحانه فيها فاماته الله ماية عام ثم بعثه فدل على ان
مثل العدد مما تدرس الاشياء فيه لان الاية في معرض ذكرها دلت قدرة الله تعالى وانه قادر على ان
يحيي القرية بعد دروسها كما احيى عزيرا بعد فنائه كل الفناء وهو لم يبال بسبب طول المدة ودروس
الاشياء ولولا حصولها بالماية لما قصد قلت فرق ما بين المقامين ولا اية دليل على ما ذكرته ثانيه
فان المار على القرية لما اراد ان يشاهد كيفية احياء الله القرية بعد اماتتها لم يشك في القدرة على
القول بانه عزير وغيره ممن لا يشك في حقه الشك في القدرة او شك في قدرة الله تعالى على القول
بانه كافر جاز في الله سبحانه ان يميته مدة طويلة ومع ما كان يعيش فيها هو او مثله من
اقرانه ثم يحييه وقد نزلت صفة من كان معه ليكون له دليلا على طول اللبث وقد روي انه حين
رجع وجد اولاده شيوخا وهو شاب وانه اخبرهم حديثا قالوا حديث ماية سنة ذكره الزمخشري
فكان ثم لم يعرفوا دليلا له ولغيره ويوكد هذا المعنى بقاء حماره وطعامه وشرابه لم يتسنه
في مدة الماية مع فنايه هو مع ان الحمار اسرع منه للفناء والطعام اسرع منهما وبالجملة ليكون
اية للناس كما قال تعالى واما اصحاب الكهف فالقصد خفاؤهم عن زمانهم او سبب نجاتهم عصمة
لهم من الاذاية لان القوم اهل كفر وغاظهم ضيعهم والله اعلم واما الحكمة في تسمية مدة
لبث اهل الكهف سنين ولبث اهل [illegible] فخارج عما قصدناه لكن نشير اليه وهو ان غالب
استعمال العرب العام مع الخصب والسنة مع الشدة فاضافه سبع شداد ياكلن ما قدمتم
لهن الا قليلا مما تحصنون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ومنها
اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف قال قلت سبع سنين دابا [illegible] قلت
لانهم كانوا يضيقون على انفسهم بدليل الا قليلا مما تاكلون فاذا ثبت معنى المار على
القرية معه طعامه وشرابه اذا اجاب اكل واهل الكهف قالوا فابعثوا احدكم الاية فاذا
احطت بهذه المفرقة علما فلنرجع الى وجه التشبيه فنقول لما خص الله
ادم بان جمع فيه من العلوم ما تفرق في الخلق الكثير وكان لهم اعداد يحفظها ثلاث ماية كما
تقدم في التشبيه وحكمة اختصاص ادم بهذه الصفة وهذا العدد الذي يقوم مقام المحا
فظة على بقاء معنى النوع الانساني المخلوق هو وغيره ممن اتصف بالعقل من المخلوقات
لمعرفة



لمعرفة الله سبحانه كما قال الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر
بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير الاية ولما كان الانسان مدنيا بالطبع لا يستقل في امور
معاشه الا مع ابناء جنسه قيض الله له مثل العدد الذي يحفظ هذا العلم المجعول سببا في
بقاء العالم وجمعه كله في ادم خرقا للعادة فان كافة البشر تمتنع ان يكون الواحد جامعا لهذه
العلوم الا من خصه الله كادم عليه السلام ومن اصطفاه فظهر وجه التشبيه والحمد لله
قال قلت ما ذكرتم من الصفة التي اقتضت ان يشبه قلوب من اتصف بها في هولاء
العدد غير صحيح لانها على ما ذكرته من العلم بالامور التي تكون سببا في حفظ العالم وتلك الاشياء
يستوي في العلم بها البر والفاجر والمومن والكافر وذلك خارج عن مقصد الحديث فانه في
معرض ذكر خواص عباد الله واوليائه قلت ان نسلم ان هذا مقصد الحديث ولا نسلم
ان المقصود بهذا العلم هو ما كان سببا لحفظ العالم بالاطلاق بل ما يكون سببا لحفظه
لتحصيل معرفة الله تعالى والاقرار له بالوحدانية واعتقاد ما يجب له وما يجوز وما يستحيل
ومن هذه المثابة هو الولي على التحقيق لان الغالب في العلماء العرافة ما اتخذ الله وليا
جاهلا لا يعتبر الله الا بالعلم والمعرفة ويحتمل ان يكون الاشارة بثلاث الماية المذكورة
في الحديث الى اهل بدر فان عددهم على ما ذكر اصحاب السير ثلاث ماية وثلاثة عشر او اربعة
عشر على الخلاف ولا يبعد ان يكون التابع ممن يشتغل بحمل الحرج من المسلمين وجمع
اثقالهم وغير ذلك من مصالحهم وثلاث الماية يقاتلون فصل التحقيق والا فهما قرب من التحقيق
فله حكمه والتابع الذين لم يقاتلوا وان شاركوا الاخرين في الاجر الا انهم لم يباشروا او كلى
قال قلت فهب انكر لم ما وجه تشبيه قلوبهم بقلب ادم قلت وجهه انه
لما كان حفظ العلم سببا في بقاء العالم كما ذكرنا ومحله القلب وكان اولئك الصحابة
رضي الله عنهم قد اتصفوا بغاية الشجاعة وهي لغة على ما ذكر الجوهري شدة القلب
عند الباس ومحلها القلب وكان ايضا قتالهم للكفار سببا لحفظ العالم لان القصد حفظه
لمعرفة الله كما قدمنا وايضا في الكرم غلبة الكفر واستيلائه والجامع انه ما هي وهي
الصفة القلبية التي هي سبب في بقاء العالم لمعرفة الله وكما ان قيام العلم بقلب ادم سبب
فيه فكذلك قيام الشجاعة بقلوب اهل بدر سبب فيه ايضا والله اعلم بما اراد نبيه ومن
هذا المعنى ما روي ان قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه

يوم بدر انتم كعدة اصحاب طالوت ذكره ابن عطية **وقوله** صلى الله عليه وسلم ولله تعالى في الخلق

اربعون قلوبهم على قلب موسى **اقول** والله المستعان معنى العدد ايضا سماه اهل الحقائق

النقبا وموسى عليه السلام قد اضيف اليه عدد الاربعين في مواضع منها مواعدته بالاربعين

في قوله تعالى واذ واعدنا موسى اربعين ليلة واختلف القراء في هذه الاية فقرا ابو عمرو وعدنا

بغير الف والباقون واعدنا بالالف فعلى قراءة ابي عمرو يكون الوعد من الله تعالى ولا اشكال فيه

ويكون قوله اربعين ليلة على حذف مضاف اي تمام اربعين واما قراءة الباقين فمشكلة لاقتضائها

المشاركة والوعد انما كان من الله عز وجل والجواب من اوجه احدها ان الله امر موسى بالوحي

وموسى عاهد على المجيء الى الميقات فكان ذلك شبيها بالعهد مثل ... صلى الله

عليه ويحتمل ان يكون فاعل بمعنى المجرد ... كعاقبت اللص وطارقت النعل

هذا ما يتعلق بالقراءة واما الامر الذي كان الوعد لاجله فذكروا انه عليه السلام قال لبني

اسرائيل ان خرجنا من البحر سالمين اتيتكم بكتاب من عند الله يبين لكم ما يجب عليكم من الفعل

والترك فلما نجاهم الله واغرق عدوهم قالوا له ايتنا بالكتاب فذهب الى الطور ووعده

اربعين ليلة فذلك قوله تعالى وواعدنا موسى اربعين ليلة واستخلف هارون ومكث في الطور اربعين

ليلة فانزلت عليه الالواح من زبرجد وقربه نجيا وكلمه بلا واسطة واسمعه صرير القلم قال ابو

العالية وذكر انه لم يحدث حدثا في الاربعين حتى هبط من الطور فانظر هذا العدد المبارك كيف

اعقبت المراقبة فيه بالاتصال والتنزل من حال الغيبة الى حال المشاهدة وهذا اشار هذا

العدد تنبيه ان يبعث الا شيئا كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اخلص لله اربعين صباحا

ظهرت الحكمة على قلبه وفي بعض الاثار من داوم على اكل اللحم اربعين قسا قلبه ويدل على هذا

المعنى ما رويناه في صحيح مسلم من ان المولود يمكث في الرحم اربعين نطفة ثم اربعين علقة ثم اربعين

مضغة الحديث وهو تقسيم لقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية ولهذا

المعنى قال الاطباء ان الطبيعة تتبدل بعد الاربعين فمن تمكن زمنا ومن المجالسة من الغزا يكون

من اجل مواقفاته فاذا انتقل الى غيره لم يحس موافقاته الا بعد اربعين ولما راقب موسى صلى الله عليه وسلم

مولى الحق وتخلى عن الخلق وملاعمهم ومشاربهم وتفرغ باطنه فتحت له ابواب الحكم واتاه

ما اتاه قلبا فارغا فتمكنا وهذا اقوى دليل ان العلم لا يحصل الا للمتخلي الباقي

لا سيما علم الباطن والعلم ان اعطيته كلك نلت بعضه وان اعطيته بعضك لم تنل منه شيئا

قال



قال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقد روينا في صحيحي البخاري ومسلم في احاديث بدء الوحي

انه جبريل لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتعبد في حراء قال له اقرا فقلت ما انا بقارئ

فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني الحديث وذكر انه فعله ثلاث مرات ثم قال اقرا

باسم ربك قال العلماء وفائدته ان يستفرغ قلبه لما يلقى عليه وفيه اشارة الى تفضيل محمد صلوات

الله عليه فانه نبه ثلاث مرات ثم القي عليه ما قراه فحفظه وفي قصة موسى عليه السلام ما

يدل على تفضيل امة النبي محمد صلى الله عليه وسلم على امته وهو انه غاب عنهم اربعين ليلة فعبد كثير

منهم العجل وضلوا به وقالوا هذا الهكم واله موسى فنسي وامة محمد صلى الله عليه وسلم مع

تطاول السنين الكثيرة وموته صلى الله عليه وسلم لو سمعوا من يشبه الله تعالى او يضيف اليه

نقصا لما اتفقوا على مهجته ولو بذهاب نفوسهم ذكره القشيري في لطايف الاشارات **وليس**

**فان قيل** قوله تعالى في الاعراف وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر يدل على ان

المواعدة لم تكن من اول الامر باربعين **فالجواب** عن الحسن البصري ان المواعدة لم

تكن بثلاثين ثم تممت بل بالاربعين جميعا وانما عبر عن العدد بلفظ من لوازمه كما تقول عشرة

وتقول فيها ايضا سبعة وثلاثة كقوله تعالى ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة

كاملة ومما يدل على اضافة عدد الاربعين اليه في الجملة ان بني اسرائيل لما امتنعوا من قتال

الجبابرة بخروجهم من البحر دعا عليهم فعوقبوا بالتيه في التيه اربعين سنة **ومنه**

ما روي انه لما دعا على فرعون وملائه بقوله ربنا اطمس على اموالهم ثم قال الله تعالى له قد اجيبت

دعوتكما قالوا وكان بين الدعاء والاجابة اربعون سنة **فان قلت** قوله دعوتكما يقتضي

اختصاصه بالاضافة لانه لموسى وهارون **قلت** قيل انه خاطب موسى بخطاب اثنين مثل قوله

تعالى القيا في جهنم في وجه وقول الحجاج يا حرسي اضربا عنقه وقول امرئ القيس

قفا نبك في وجه وهو لغة وعلى تسليم انه لهما فالداعي موسى وهارون مؤمن **ومما**

يدل على اضافة عدد الاربعين اليه قوله تعالى في سورة القصص في شانه ولما بلغ اشده واستوى

اتيناه حكما وعلما الاية وبلوغ الاشد والاستواء كناية عن بلوغ اربعين سنة لقوله تعالى حتى

اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قيل الاشد ثلاثون وقيل ثمان وثلاثون وقيل غير ذلك لكن

قالوا معنى استوى اي استحكم شبابه وانتهى واستتم فلم تكن فيه زيادة كذا ذكر ابن قتيبة

في غريبه **قلت** والفقهاء يقولون انما قال هذه وقت على شبابه فلا ان يدخل فيه

تعيين البلوغ وكمال الحد اربعين فان قلت — قوله حتى اذا بلغ اشده الاية يقتضي الاختصاص
بموسى قلت — ذلك عام في الانسان من حيث هو ولم يصح ذكر المعنى على التعيين الا
لموسى عليه السلام وثبت انه من خصايصه فان قلت — قد ثبت مثل ذلك ليوسف عليه
السلام في قوله تعالى ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما الاية قلت — لم يذكر فيه استوا وهو
يدل على انتهاء مدة الشباب التي هي كمال الحد اربعين كما قررناه فان قلت — ما الحكمة في
اتيان يوسف الحكم والعلم قبل الاستواء وبعد بلوغ الاشد كما اقتضاه ظاهر الاية واتيانهما
موسى بعد الامرين كما اقتضاه الظاهر ايضا قلت — مما ليس مما نجزم به وانما نذكر
ما ينشي الى الجواب فاقول سمعت شيخنا الامام العلامة ابا عبد الله بن عرفة التونسي
حفظه الله يقول مجيبا عن هذا السوال وقدرا وردنا ان قضية موسى رتب عليها اغاثته
للذي استغاثه وهو من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه كما اخبر
الله تعالى فكان الفعل مناسبا لان يكون بعد الاستواء لان الامر الذي به بلوغ الغاية في المحاربة
وقضية يوسف لما رتب عليها مراودة زليخا وامتناعه منها مع التمكن التام وكان مقصود الاية
مدحه والثناء عليه بالعفة والصيانة كان المناسب حذف الاستواء لان الامتناع مع توفر
الدواعي التي من اقواها شرخ الشبيبة وتمام الحرارة ادل دليل على عصمة الانبياء صلوات الله
عليهم وهذا غاية في الحسن فسبحان من جلت قدرته انه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا
ومما — يدل على اضافة مثل العدد اليه قوله تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام اني اريد
ان انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك ثم قال
تعالى فلما قضى موسى الاجل قالوا اوفى الاجلين قضاه وهو العشرة لانه الذي يقتضيه
وصف النبوة بل زاد ولا شك ان في كل سنة اربعة فصول فاذا ضربت ذلك في عشرة كان
المجموع اربعين فان قلت — انما يحسن هذا ان لو كان المقصود الفصول ويدل عليه
ان في كثير من المسائل التي يعرض فيها فسخ الاجارة والرجوع الى تقويم ما مضى وما بقي
من فصول السنة وقبض الكرا عليها فيوخذ بحساب ما مضى ويسقط مناب ما بقي قال في
كتاب الجعل والاجارات من المدونة في اجارة الظئر ولو اجرتها على رضاع صبي المسئلة
ثم قال فيها الا ان يختلف ذلك من رخص الكراء وغلائه باختلاف الازمنة من شتا وصيف وصي

كبير



كبير وصغير بحسب ذلك ولا شك ان اعمال الصيف والشتاء تختلف اختلافا بينا وذكر في المدونة
ايضا في كراء الارضين قال وليس كراء الارض في الشتاء والصيف واحدا والمسئلة بكمالها وهو فيه
كثير لمن تتبعه ولولا الخروج لجلبنا منه جملة ومما — يدل على اضافة عدد الاربعين اليه لما ورد
ماء مدين كما اخبر الله عنه وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد المراتين لا تسقيان فسالهما
فاجابتاه بما ذكر الله عنهما فقال للقوم مما ما هذا الذي تصنعون فزعموا المراتين فيها الواحتى
نسقي فغضب عليه السلام وكان شديد الغضب في ذات الله فقال الا بير لكم هنا فاخذ الدلو
ونزعها من ايديهم وكانت لا يرفعها الا المتلاثمة اربعون رجلا فرماها في الما فلما امتلات
انشالها بيده مرة بعد مرة ثم قال لهم اسقوا اخرجتها وحدي قالوا بلى قال فتنحوا عني حتى
اسقي لهما فسقى لهما وكان من الامر ما كان وقيل لما سالهما ما خطبكما فاجابتاه قيل لهما
هل هنا ماء غير هذا فقالتا لا الا بير عليها حجر لا يرفعه الا اربعون رجلا فقال لهما اريانيه
فالتاه هو هذا فمر اليه فرفع عنه الحجر ورماه جهة وسقى لهما فالله اعلم اي ذلك كان
فان قلت — هذه الاضافة ليست بخاصة فان كل نبي على ما ذكر فيه قوة اربعين رجلا
قلت — هذا انص بالخصوصية في التصريح به او في الكناية عنه في كتاب الله في حق موسى
دون غيره وقد كفانا الله مونة ذلك بقوله حكاية عن بنت شعيب ان خير من استاجرت القوي الامين
قال المفسرون قوته رفع الدلو التي لا يرفعها الا اربعون رجلا او الحجر على الخلاف وامانته انها
لما تقدمت امامه ورفع الريح ثوبها قال لها ارجعي خلفي وتقدم امامها واعلم ان تخصيصه
باضافة عدد الاربعين كثير لمن تتبعه فلنقتصر على هذا القدر وان ثبت اختصاصه
عليه السلام باضافة عدد الاربعين اليه بحسب الاستقراء فليس من البعيد ان يكون الله عز
وجل اكرمه بان جعل عبادته تعدل عبادة اربعين رجلا ممن اصطفاهم ويدل على هذا المعنى
ان قوته على ما ذكرنا تعدل قوة اربعين رجلا فلتكن عبادته تعدل عبادة اربعين لان زيادة
القوة ملزوم لزيادة العبادة وكلما وجد الملزوم وجد اللازم فان قلت — ومن اين
كان زيادة القوة وزيادة العبادة متلازمين وعلى تقدير التلازم فما اللازم منهما وما الملزوم
قلت — اما تلازمهما فيدل عليه قوله تعالى حكاية عن هود عليه السلام ويقوم استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم فيهما ويزيد يحتمل ان
يكونا مسببين عن الاستغفار والتوبة جميعا ويحتمل ان يكون ارسال السماء مسببا مدرارا

عن الاستغفار وزيادة القوة عن التوبة فيكون لفا ونشرا مرتبا ويحتمل العكس فيكون معكوسا واما
كان يلزم مسببه زيادة القوة عن العبادة اذ التوبة والاستغفار عبادتان وتلازم السبب والمسبب
لا يحتاج الى بيان وهو في غاية الوضوح ويدل ايضا على التلازم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم والاشك ان عموم الاجمع مظاه فيلزم عمومه ولم يتعذر الاجماع على
عموم ارادة الحقيقة منه عملا بالاصل المقتضي لذلك وهو الاستصحاب بارادة الحقيقة منه جائزة واذا
كانت جائزة فلتكن مرادة عملا بالمقتضي السالم عن المعارض دعواه واعني بالمقتضي كون اللفظ
يقتضي ارادة الحقيقة منه اذ هو من حيث الظاهر موضوع لذلك واذا اثبت عموم اللفظ بما ذكرنا
فلنكتف فيما سامكنا فنقول زيادة قوة الانسان المتقي سبب في اصلاح عمله وكلما هو
سبب في اصلاح عمل يجد زيد اللدائم مع التقوى ثم الصغرى ظاهرة واما الكبرى فلان اية لك على
اصلاح العمل بشرط التقوى العمل كما ذكرنا مسبب عن زيادة القوة وهو مصلح فيلزم اصلاح
سببه اذ متى يصلح السبب لم يصلح المسبب بحكم عكس النقيض وثبت بهذا تلازم زيادة القوة
والعبادة واما تعيين اللازم منهما من الملزوم فما قوله اجرموا الاول لانه ملزوم
للعبادة باعتبار لاشتراك الخارجي الذي يطلع الخلق عليه اذ العبادة بهذا اخفا وهذا
والقوة غالبا لا تخفى والتعريف كون الشيء الواحد لازما ملزوما من جهتين فسان قلت
قولهم في الصغرى زيادة قوة الانسان المتقي سبب في اصلاح عمله انما يلزم لو لم يكن الاعمال
الجوارح الظاهرة واما اذا كانت الاعمال هنا الظاهرة وباطنة لم تصدق الصغرى عامة المحمول
قلت الاعمال الباطنة تحتاج الى قوة باطنة ولا نزاع فيه فثبت بهذا كل ذلك تشبيه
قلوب اربعين من عباد الله المصطفين بقلب موسى عليه السلام ويحتمل ان تكون الاشارة بالاربعين
الذين قلوبهم على قلب موسى عليه السلام الى الذين صلوا اول جمعة بالمدينة من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم على ما ذكر ابو اسحق قال حدثني محمد بن امامة عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت
قائد ابي كعب بن مالك حين ذهب بصره فكنت اذا خرجت به الى الجمعة فسمع الاذان بها
صلى على ابي امامة اسعد بن زرارة قال فمكث حينا على ذلك لا يسمع الاذان الجمعة الا صلى
عليه واستغفر له قال فقلت في نفسي والله ان هذا بي لعجز الا اسئله ماله اذا سمع
الاذان للجمعة صلى على ابي امامة اسعد بن زرارة قال فخرجت به في يوم جمعة كما كنت اخرج
فلما سمع الاذان بالجمعة صلى عليه واستغفر له قال فقلت يا ابت ما لك اذا سمعت الاذان بالجمعة

صليت

صليت على ابي امامة اسعد بن زرارة قال يا بني كان اول من جمع بنا بالمدينة في حزم النبيت
من حرة بني بياضة يقال له نقيع الخضمات قال قلت وكم كنتم يومئذ قال اربعون رجلا انتهى
ما ذكره ابن اسحق فان قلت من اين كان افاضتهم الجمعة مصحح التشبيه قلوبهم
بقلب موسى عليه السلام قلت الجمعة مقامها من الدين عظيم ونسبتها اليه انها تجمل
فرضه ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهما ما اجتنبت
الكبائر ولما كانت الصلاة من حيث الجملة هي راس الدين بقول عمر رضي الله عنه لما كتب
الى عماله حسبما رويناه في الموطا ان اهم اموركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها
فقد حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع وكانت الجمعة افضلها لا سيما على
القول بانها الصلاة الوسطى وهو قول ذكره ابن حبيب ومكي ووجهه ان حكمة الصلاة
اظهار الخضوع والانقياد الى الله تعالى حتى قيل ان الركوع انما كان على تلك الهيئة لانها
هيئة الانقياد المستسلم لحضرة عنقه ذكره القاضي عياض في الاكمال في شرح حديث ابن
مسعود وتطبيقه بين يديه في الركوع ثم ان اظهار الانقياد في الجمعة اظهر منه في غيرها
لانه يشهدها الجامع والجماعة والخطبة وهي عيد من اعياد المسلمين وهذه الامور كلها تدل
على المطلوب منها اظهار الانقياد والاعلان به فبقيامها المعنى الذي شرعت له الصلاة وزيادة
اذا اكتفي في غيرها من الصلوات بالانقياد ولو سرا وهي لا بد فيها من اظهاره والاشك ان
اظهار الانقياد الى الله افضل من اخفائه في بعض المقامات ولهذا كانت صلاة الجماعة افضل
من صلاة الفذ بخمس وعشرين او سبع وعشرين درجة على ما تقرر في موضعه ومما يدل على ان
الجمعة افضل من غيرها انها لا تؤخر للحر وغيرها مما هو في وقتها كالظهر تؤخر للحر وكذا
العصر عند اشهب فلهي اذا اشق على المكلف من غيرها وافضل العبادة احمزها فثبت بهذا
ان اهم الطاعات بعد التوحيد الصلاة وان افضل الصلوات صلاة الجمعة فاقامته هو كان العدد
المبارك لمقام غيبة النبي صلى الله عليه وسلم وفي اول الحال اذ الحال كان في العقبة الاولى
او قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة دليل على خلوص نياتهم وصفاء سرائرهم ومراقبتهم
لله في السر والعلانية وفي الحضور والغيبة وفي اظهارهم اياها نكاية العدو وكسر
شوكته وزيادة غيظه مع فهمهم وان كبره في نحره وهذا كان شان موسى صلوات الله
عليه فانه كان شديد الغضب في ذات الله كما قدمناه ملازما لمراقبة الله في السر والعلانية

حريصا على اظهار دين الله فكلهم بهذا تشبيه فلوب هذا العدد المبارك بفلب موسى صلوات الله عليه
وسنزيد هذا التشبيه بيانا في اخر هذا المجموع ان شاء الله تعالى والحمد لله الذي هدانا لهذا وما
كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله **ووجه** اخر في تشبيه فلوب الاربعين بفلب موسى انه
يحصل العلم بصدفهم انهم اخبروا بشيء حتى فال بعض الاصوليين اقل عدد يحصل به التواتر اربعون
رجلا نفله غير واحد وموسى عليه السلام ذهب الى الميفات ليأتي بالكتاب من عند الله فيحصل
التصديق بذلك والعلم بمجرد فوله لان كتابه ليس بمعجز على القول بان ما عدا القران من الكتب السماوية
لا اعجاز فيه والله اعلم **ويحتمل** ان تكون اشارة بفوله الى ربعين الى الاربعين الذين تكاملوا
بعمر رضي الله عنه حين اسلم ووجه التشبيه فيهم على حسب ما فررناه في مغيب الجمعة

**وفوله** صلى الله عليه وسلم والله تعالى في الخلق سبعة فلوبهم على فلب ابراهيم عليه السلام

**افول** والله المستعان ان ابراهيم صلوات الله عليه خص باضافة السبعة اليه في
ذلك لان اسمه مشتمل على سبعة احرف ويفال ابرهيم وابراهام وهي فراءة ابن عامر وفد
استفرأنا في كتاب الله من ذلك امورا كما في حججه مثر نفدم منها **احتجاجه** على
النمرود بسبع حجج ثلاث فولية واربع فعلية **اما** الثلاث الفولية ففوله ربي الذي يحيي
ويميت وفوله فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فالاحياء حجة والاماتة
اخرى والاتيان بالشمس من المشرق اخرى **والاربعة** الفعلية الاربعة من الطير وهي
التي امره الله باخذها في فوله فخذ اربعة من الطير فان احياء كل واحد منها حجة على النمرود فانه
صلى الله عليه وسلم لما فال ربي الذي يحيي ويميت عارضه بفوله انا احيي واميت فدعا برجلين فامر
فاحدهما فيفتل فيفال هذا امته ثم امر بارسال الاخر فيفال هذا احييته وفيل غير هذا في طلبه
بالرجلين على ما هو مشهور فموه بالحاضرين فعارضه عليه السلام بنوع اخر من الاحياء وهو
طلوع الشمس من المشرق لان وجود الشمس على ما نشاهد كظهورها فوق حداثق ولم لم تشبيه
بالاحياء وعدمها على ما نشاهد ايضا خفاؤها عن افقنا وذلك التشبيه بالاماتة فكانه
فال له لو كنت فادرا على هذا النوع من الاحياء لكنت فادرا على الاخراج الفادر على نوع
من المغروضات فيلزم ان يكون فادرا على جميعها ضرورة تساوي الممكنات في نسبة تعلق
الفدرة بها وهذه ملازمة متكاملة وبطلان التالي الخصم فانه لم يفعل وبما فررناه يعلم ان ابراهيم
صلوات الله عليه لم ينتفل من دليل الى دليل اخر كما ظنه بعضهم واستدل بذلك على جواز الانتفال

في صناعة

11

في صناعة الجدل فهذه الحجج الفولية **واما** الفعلية فانه لما امره عز وجل الله بما تفدم كلف
ابراهيم ربه عز وجل ان يفدره على الاحياء والاماتة حفيفة وان يريه كيف يفعل ذلك ليسجنه ليعلم
النمرود ان هذا الاحياء هو المحتج به لا ما موه هو به فتفوم الحجة عليه فاوحى الله تعالى اليه ان
خذ اربعة من الطير الفصة بكمالها ذكر معنى هذا التفسير الغزنوي وبهذا التفسير يندفع
الاشكال الوارد على سؤال ابراهيم ربه كيف يحيي الموتى فانه انما سال معاينة ذلك لتتم الحجة على
النمرود لا على سبيل الشك في الفدرة فان فلت فهو معنى لا يرتاب في فدرة الله وكيف فال النبي
بالخليل صلوات الله عليه والبرهان المعنى اشار صلى الله عليه وسلم بفوله نحن احق بالشك من
ابراهيم اي لو شك لشككت لكن الشك علينا محال فهو عليه كذلك وبيان المحال رمه الاستواء
في النبوءة من حيث هي والله اعلم ولا شك ان احياء كل طائر من تلك الطيور تفوم الحجة به
على انفراده **واما** حكمة كونها اربعة وتخصيص الطير من بين سائر الحيوانات وتخصيص
انواعها ايضا وجعل كل طائر على جبل فخارج عن مفرضنا ولولا الاطالة لبيناه فثبت بهذا
اختصاصه بسبع في هذا المفام ولا يفال ينبغي ان يعد غروب الشمس من مغربها حجة اخرى
انه من اماتة على ما يبينه انما مفابل لطلوعها الذي هو احياء فتكون الحجج الفولية اربعا لا ثلاثا لانا
نفول لم يذكر في الاية الاستدلال بالغروب فانما فيل فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
ولا نعتبر في الغوامض الا ما صرح به الفران **ومما** يدل على اضافة عدد السبعة اليه صلوات الله
عليه ما ورد مع ابيه فانه ذكر فيها سبعة اشيا على ما في سورة مريم عليها السلام في فوله تعالى
واذكر في الكتاب ابراهيم الاية **فاولها** فوله له يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك
شيا فبين له ان ما فصده بالعبادة جماد ولا ينبغي للعافل السميع البصير ان يعبد من ليس كذلك
**وثانيها** فوله له يا ابت اني فد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا فبين
له ان العبادة لا تنبغي حفيفة الا من العالم بمن يستحق ان يعبد لا الله فنزعه الى الافتداء به لما خصه
الله به من العلم **وثالثها** فوله له يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا فنبه بذلك على
ان الحامل له على عبادة الوثن هو الشيطان فكانه عبده وان الشيطان لما عصى الله تعالى فهو يحسد
ابن ادم على الطاعة فيسعى في ازاحته عنها **ورابعها** فوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب
من الرحمن فتكون للشيطان وليا لما يترتب له فبح ما يعبدون وان العبادة لا تكون الا بالعلم وان
الشيطان يريد ان يكثر اولياءه فيغوي الخلق اجمع مع ذلك ان هذا الفعل يوجب العذاب الاليم

والخلود في النار فإن أكثر حسن سياسته وكون المخاطبة مع الأب أوجبا التعبير بلفظ الخطاب وفي قوله
وجلفة البدو من الحضارة وبتنكير عذاب الدال على التقليل والتهويل ويحتمل أن يكون التنكير للتعظيم
أي شيء من عذاب الله يكاد أن يكون نوعاً من العذاب غير متعارف وفيه باضافة العذاب
إلى الرحمن على أنه سبحانه يقبل إنابة المنيب وتوبة التائب ويعفو عن السيئات تحريضاً لأبيه على اتباع
الحق فلما لم ينجع فيه شيء من ذلك وأغلظ عليه بقوله أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم
تنته لأرجمنك واهجرني ملياً وكم بين الخطابين خاطبه بقوله وهو خطاب مسهاً سلام عليك سأستغفر
لك ربي انه كان بي حفياً فقابله الحسن بالحسن ورغبة الرحمن ما نراه أنه سلم عليه ودعا له باستغفار ومواعدة
عنا الله سبحانه بقوله وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه استغفاراً لخليله من خال
عليه السلام وهو سلام إدرار سهماً واستهالة وإن أمر على عز ومن الأدب وإن سلم عليهم إنما كان
استنزالاً بالرفق وكريم الخلق حين ما في سبح على التلطف في ما ينبغي على النهي ومخالفة اضلاله ثم خاطب عليه
السلام وهو سلام ابتداء وأنه في عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقياً فأختم عليه السلام
انه أن عن ابن غير لمن انه لا يكون شقياً بدعاء ربه كما قال وهو أمر المخاطبات أن لم يقل له
يجمعهما في هذا المقام خطاباً ومعنى سبح كما ترى ومما يدل على إضافة عدد السبعة
اليه صلى الله عليه وسلم معاملته لا ضيافه على ما في سورة الذاريات في قوله تعالى هل أتاك حديث ضيف
إبراهيم المكرمين ... أنه صلى الله عليه وسلم قابلهم بسبح معاملات ثلاثة أفعال وأربعة أقوال
عكس ما له في معاملة النمرود حتى يكون جامعاً لخلال الخير أحوال السبعة ومن تمكن في
علم التوفيق والطرح على حكمة ذلك المعاملة الأولى وهي من الأقوال قوله لهم سلام
بعد قولهم إذ دخلوا عليه سلاماً فأنه قال لهم سلام جامع ولم يقل سلاماً كما قالوا اقتداء
بقوله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها فإن قوله لهم سلام مرفوع بفعل
محذوف أي يسلمنا سلاماً فهي جملة فعلية والفعلية تدل على التجدد والحدوث وقوله سلام
مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي أمري سلام ونحوه أو مبتدأ والخبر محذوف أي سلام عليكم
وعلى التقديرين المكتوبة هي بنا ... معنى الدعاء فهي على كلا الوجهين جملة اسمية والاسمية تدل
على الثبوت والاستقرار على ما تعلم من ذلك كله وتقرير موضعه قلت ويحتمل أن يكون
سبب تنكير اسم الله والله أعلم أنه لما أنكرهم ولم يعرفهم شاهدهم مؤمنون فنقض قوله
بجعله موقوفاً حتى يعرف حالهم ونظير هذا السلام المبهم ما وقع في الحديث من أن يهود
قال

١٢
قال النبي صلى الله عليه وسلم السلام عليكم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم فقالت له عائشة
يا رسول الله إنه قال السام فقال لها عليه السلام ألم تسمعي ما رددت له عليكم ، والسلام المسوق
فإن قلت لو كان الجمع على ما زعمت من أنه سلم سلاماً موقوفاً حتى يعتني لما وجب الجواب
بمزيد السلام وإن قلتم إن ذلك عليهم بعد ما تبين أنهم منهم فلما ذا لم يرد عليه حتى يشبت قلت لا نسلم
أنه إذا كان موقوفاً لا يحصل البر الواجب فإن معناه سلام عليكم إن كنتم من أهله والمعنى أنهم
في نفس الأمر من أهله والمشروط يتم وجوده بوجود شرطه ويدل على أن التسليم الموقوف على
شرط قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى الثانية من الأقوال أيضاً قوله لهم قوم
منكرون فإنها جملة ثانية تقديره أنتم قوم منكرون قال العلامة ابن الرحال المستقبل قال الخليل عليه
وسلم عليه فإنه بدأ عليهم بقوله إن المساءلة تغير لأن أمر الأنفال ... على ظهور الجملة
هو كلام أخر لسر له فإن قوله السلام ويدل أيضاً على التعاقب ترك العطف فإن جملة سلام لها
محل من الجزاء فلو نصر التشريك لعطفت عليه لأنها لم يقصد ولم يعطف ونظيره
في ترك العطف لقصد عدم التشريك وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون
الله يستهزئ بهم لم يعطف الله يستهزئ بهم على إنا معكم لئلا يتوهم أنه من مقولهم وهذا
ابطال بعطف قوم منكرون على سلام عليكم لاختلافهما خبراً وإنشاء فإن جملة سلام دعاء وقوم
منكرون خبر ولا تعاطف بينهما عند علماء المعاني وأرباب البيان وقد ذكر النحويون في ذلك
خلافاً وتعلق بأن البيانيين أحق وقولهم أجاز يكون في العطف إذا بين الجملتين تباين كمال
الانقطاع كقوله ... وقال رائدهم أرسوا نزاولها فكل حتف امرئ يجري بمقدار
وقوله ... ملكته حبلي ولكنه القاه من زهد على غاربي ... وقال اني في الهوى كاذب
انتقم الله من الكاذب ... فإن قلت لم لا يجوز أن تكون معطوفة على جملة قال وهما متوافقتان
خبراً قلت في عطفها الاسمية على الفعلية خلاف ولو سلم جواز يكون تركه لان بينهما
شبه كمال الانقطاع أو اقل الانقطاع لأن عطفها على قال يوهم عطفها على جملة سلام لقربها
ولم يقصد أسماعاً على أن من ترك عطف الانشائية على الخبرية فتحقق العطف إذا بينهما
شبه كمال الانقطاع وسمى البعض لهذا النوع منه اتخذ ما يوقع في معنى الوهم فيها
كقوله ... وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلاً أراها في الضلال تهيم ... لم يعطف أراها على
تظن لئلا يتوهم أنه معطوف على أبغي لقربه وليس هو من مراده بل حوله في مظنون سلمى فحين

لئلا يتوهم انه مقصود بكونه معمولا للقال المنطوي به وانما هو
معمول القول المقدر ولقائل ان يقول لا نسلم ان جملة قوم منكرون
مما يمنع عطفه على جملة سلام عليكم ع اصل

ويحتمل ان ها القطع للاستيناف كان قايلا قال كيف تراها في هذه الكرة قال أراها في الضلال تميم
ويحتمل الاية ايضا الاستيناف وكان قايلا قال ما قال لهم بعد ازدة السلام فقيل قال انكم قوم منكرون
وهذا هو القسم الثالث من اقسام الاستيناف وهو السؤال الذي عن سبب الحكم مطلقا ولا عن
سببه الخاص بل عن غيرهما وقد قيل في جملة قوله قال سلام انها استيناف من هذا النوع فانهم
لما قالوا سلاما كان قايلا قال فماذا قال لهم فقيل قال سلام ــــ قوله ۝
نعم العواذل أنني في غمرة . صرفوا ولكن غمرتي لا تنجلي . فانه لما شكا العواذل في زعمهم كان
ذلك موجبا لأن يسأل هل صرفوا ام لا وامثلته كثيرة الثـــالثة ومن من الابدال قوله تعالى فراغ
الى اهله فجاء بعجل سمين قوله فراغ اي عدل اليهم في خفية لان الروغان خفاء الذهاب والمجيء وانما
اخفى ذهابه عليه السلام لئلا تبرأ الاضياف صنيعه بالعجل فيمنعوه من ذلك على ما جرت به العادة
ومن هنا علم انه لا يحسن عند الروغان فعلا مستقلا لانه لم يكن مقصودا لذاته وانما قصد للاتيان
بالعجل وهذا الاختفاء هو الذي يقتضيه وصف النبوة ومقام الخلة اذ ذاك شأن الكريم من
الناس لان قلوب الخلق مجبولة على حب الاموال والبخل بها قال تعالى وانه لحب الخير لشديد قيل الخير
المال الذي خصه الله واكرمه فعلم ان الدنيا لو كانت تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر
منها شربة ماء فانه اعلم انها ذاهبة وانه ليس للانسان منها الا ما اكله ومشربه وملبسه وما سوى
ذلك فهو ذاهب وتاركه لم يبخل بما زاد على ضروراته بل يوثر غيره بها على نفسه ويوثرون على
انفسهم ولو كان بهم خصاصة وايضا انه اعلم ان الله هو الذي يعطي ويمنع وهو الرزاق
علم ان العطاء لا ينقص شيئا ولا يزيد شيئا . فلا الجود يفنيها اذا هي اقبلت ولا البخل يبقيها اذا هي ولت .
رزقنا الله الزهد فيها بمنه وجعلنا ممن اشتغل باخراه عن دنياه انه ولي ذلك الـــرابعة
ومن من الابدال قوله تعالى فقربه اليهم فانه لو لم يفعل لتوهم انه انما اتى به لمصلحة اخرى يقصدها
واوهم الغير انه من اجل الاضياف وجل عن ذلك منصبه وروغانه وكل اختفاء دليل
على ان المقصود به الاضياف فلا يكون فعله الا ما يناسب ذلك الخـــامسة ومن من
الابدال قوله تعالى قال الا تاكلون فانه لما رآهم بعد ان قربه اليهم العجل لا ياكلون قال معهما
الا تاكلون فانه انما كان من اجلكم ولم يقصد به غيركم ذلك فيه تاكيد على تاكيد يشهد
له صلى الله عليه وسلم بالكرم وناهيك بمقام الخليل صلوات الله وسلامه عليه الســـادسة
ومن من الابدال قوله تعالى فاوجس منهم خيفة اي اضمرها في نفسه لانهم لما لم
ياكلوا



ياكلوا استوحش منهم مع انه لا يعرفهم فقالوا له لفهمهم عنه لا تخف وبشروه كالاية الســـابعة
ومن من الاقوال قوله لهم قال فما خطبكم ايها المرسلون لما علم انهم مرسلون وامن منهم سألهم
ما خطبكم فاجابوه وهذا اخر الجملات وقد تقدمت سبعة كما تشاهد وقضيــــة
عليه السلام مع قومه حين كسر الاصنام على ما حكا الله تعالى عنه في سورة الانبياء والشعراء
والصافات يمكن ان يستخرج منها اضافة عدد التسبيح اليه لكن بتكلف فتامله ومـــمــا
يدل على اختصاصه صلى الله عليه وسلم باضافة عدد التسبيح اليه اشتراكه على قومه بالكوكب ثم بالقمر
ثم بالشمس على ما في سورة الانعام وبيانه ان الدرجات سبع متعددة بتعدد افلاكها التي هي فلك
القمر ثم فلك عطارد ثم فلك الزهرة ثم فلك الشمس ثم فلك المريخ ثم فلك المشتري ثم
فلك زحل ولم يصرح منها في القرآن الا بالشمس والقمر خاصة لانهما اعظم على ما نشاهد وان كان
في نفس الامر ليس كذلك على ما هو معلوم في علم الهيئة وكنى عن الباقي بالكوكب بقوله
تعالى فلما رأى كوكبا قيل هي الزهرة وقيل المشتري ذكره السهيلي في التعريف والاعلام
ونسب القول الثاني للطبري قال وكانوا يعبدون الكواكب قوله قال هذا ربي قيل معناه
اهذا ربي بهمزة الاستفهام والمراد الانكار ومثله في اسقاط الهمزة قول عمر بن ابي ربيعة
. تراءى منها معصم حين جمرت وكف خضيب زينت ببنان . فوالله ما ادري وان كنت داريا .
. بسبع رمين الجمر ام بثمان . اراد أبسبع ومنه قوله تعالى وتلك نعمة تمنها علي قيل
معناه اوتلك نعمة والصواب ان معنى الاية من ربي ان كان يصلح لذلك وكأنه تسليم جدلي لانه
لا يصلح لانه يافل وما يأفل لا يكون ربا وهو استدلال بالافول لتغير والزوال على الحدوث وهو دليل قوي
على حدوث العالم على ما علم تفصيله في الكلام وبدل ايضا قوله على حدوثه ولا شيء من الحوادث بالاله ثم
انه يجب فرضه في الشكل الثاني من الضرب الاول منه لا شيء من الكوكب بالاله وهو المطلوب ثم انه
يحتمل ان يكون فعل له معهم في كل كوكب من الخمسة غير الشمس والقمر ويحتمل ان يكون ذكر اسم
ذلك في واحد منها والباقية مماثلة مساوية له في الكوكبية ومتساوية ايضا في الفرق اذ غربت
من السماء على ما نشاهد لا ما في نفس الامر كما تقرر وما جاز على احد المتماثلات جاز على جميعها
اذ ذاك حقيقة المثلين انهما اللذان يشتركان فيما يجب ويجوز ويمتنع على ان التفاسير
ثم بعد ذكره كوا لقمر انه هو الاكمل فيما يظهر بالوجود ثم الشمس وكانه عليه السلام قصد في
استدلاله الانتقال من الاصغر الى الاكبر الى ان ابطل جميع ما اعتقدوه صالحا للالهية تعالى الله

ان يكون له ثلاثا وشبهها وتكنيتها ومثيل فقال هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقيت
بهذا لكون السبعة من خواصه عليه السلام واعلم ان اضافة عدد السبعة اليه كثير جدا
وتأمل كون الطواف سبعة اشواط والسعي بين الصفا والمروة كذلك وورد رمي الجمار الى
غير ذلك وكل من سننه عليه الصلاة والسلام وبعد هذا فليس من البعيد ان يكرمه الله
عز وجل بان يجعل ما اشتمل عليه من المناقب والمفاخر لا يمكن ان تكون الا اوزعت على غيره من عباد الله
الصالحين الذين لم يطاولوا رتبة النبوءة في اقل من سبعة والله المستعان ويحتمل ان
تكون الاشارة بهؤلاء السبعة الذين قلوبهم على قلب ابراهيم عليه السلام الى الستة الذين هم من
العشرة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المشهود لهم بالجنة عدا الخلفاء الاربعة رضي الله عن جميعهم
فانا نتكلم عليهم بعد وانما نعني طلحة والزبير وسعدا وسعيدا وعبد الرحمن بن عوف وابا
عبيدة ويضم اليهم بلال مولى ابي بكر وهو السابع فان مولى القوم منهم وانما قلنا ذلك لوجهين
غير ان العشرة الذين منهم هؤلاء الستة قد بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وبلال
بشر بها وقال البخاري في ترجمة ذكر مناقبه وقال النبي صلى الله عليه وسلم سمعت دف نعليك
بين يدي في الجنة وقال عمر فيه ابو بكر سيدنا واعتق سيدنا انتهى وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رايت اني دخلت الجنة فوجدت خشفة بباب فقال بم استوجبت ذلك فقال يا رسول الله الا
اني ما توضأت الا صليت ركعتين وثانيهما ان بلالا ايضا معهم انه امتحن بقريب مما امتحن به الخليل
عليه السلام فانه روي ان سيده امية بن خلف كان يخرجه اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في
بطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر
بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء احد احد ذكره ابن اسحاق ووجه تشبيه
قلوب هؤلاء السبعة بقلب ابراهيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرهم بالجنة واخبرهم انهم
يدخلونها والخليل صلى الله عليه وسلم اخبر الله عز وجل بدخوله اياها في قوله تعالى وانه في الاخرة لمن
الصالحين ونص تعالى في غير ما اية على ان الصالحين في الجنة فقال تعالى في نسائه رحمت الله وبركاته
عليكم اهل البيت فعبر برحمة الله وهو يدل على النبوءة ولا سيما واي رحمة الله عليكم في الدنيا
والاخرة اذ لو لم تكن هذه الرحمة منوطة بالاخرة لما كان فيها منة ولا تعظيم ومساواة لا ... قال الله
ويدخلون رحمة الله الجنة وقد تطلق الرحمة ويراد بها الجنة قال الله تعالى واما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمت الله هم فيها خالدون اي في الجنة فهو مجاز من باب تسمية المحل باسم الحال لان الجنة

محل



محل الرحمة مثل جرى الميزاب فان قلت وكل الانبياء يدخلون الجنة فما خصوصية نسبة
دخولها الى الخليل قلت الخصوصية في تصريح القران بذلك في حقه كما تقدم ووجه اخر
في تشبيه هؤلاء السبعة بابراهيم عليه السلام وقوع فتنتهم في الدين والصبر على اذاية
الاباء الا المقدار دين الله فالزبير وعبد الرحمن وابو عبيدة كانوا ممن هاجر الى الحبشة
ولا شك ان الخروج من الوطن من اكبر المشاق لانه مقرون مع الموت في المنزلة قال الله تعالى
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم
واما سعيد بن زيد فذكر البخاري فيه باسناده عن قيس قال سمعت سعيد بن زيد يقول في مسجد
الكوفة والله لقد رايتني وان عمر لموثقي على الاسلام قبل ان يسلم عمر ولو ان احدا انقض
للذي صنعتم بعثمان لكان محقوقا وذكر البخاري ايضا اسلام سعد ثم الفتنة تكون
بوجهين اما بنيل الاذاية واما بالمناظرة وارتكاب المشاق في دفع الاذى وان لم ينله منه
شيء ولا يخلو الزبير عن نفسه لما له من الاذاية ما نال الغير وربما كانت بالزوج اشق اذ من
لم يدفع كانه مستسلم ولا يحصل في قلوب الاعداء من الغيظ عليه بقدر التمكين منه ما يحصل في قلوب
من نال منهم ولم يقدروا عليه بعد بهوية قلب ان اخرى على تلك الحال اشد الم وهذا شيء لا
يحتاج الى برهان وقد تقدم ما فتن به بلال رضي الله عن جميعهم فهذان وجهان في تحقيق ذلك
التشبيه بقلب ابراهيم في حق هؤلاء السبعة اعني البشارة بالجنة والصبر على الفتنة في الدين
فان قلت وكم من مبشر بالجنة من الصحابة وصابر على الفتنة في الدين ولم سلم حصر
الستة المذكورين على ما قلته بالمشابهة لعظمهم ومكانتهم واجماع اهل السنة على تفضيلهم
وما بين سلم انضمام بلال اليهم ومما ضم عكاشة او غيره ممن لا يحصى فظه ولا يدرك شاوه
قلت انما التزمنا ان نذكر ما صح به في القران او في الحديث الصحيح كما رايته ومعلوم
ان الصحابة كلهم رضي الله عن جميعهم بالمرتبة التي لا يسع المكلف جهلها من الفضل
والعدالة لكن منهم من حصل له الوصفان التبشير بالجنة والابتلاء ومنهم من
حصل له الامران كبلال رضي الله عنه فلذلك خص بالذكر ولم سلم ان هنا احد من شاركه
في حصول الامرين من غير الستة لكن من المحتمل ان يكون هو والاخر الذي على صفته من
الذين يتبدلون لان الحديث نص على انه اذا مات واحد من كتب خلفه واحد من اخرى ولعل
من مات منهم لا ... الصفة يتعاقب معناه الحديث يقتضي تساوي المتعاقبين في الصفة

الموجبة للتعاقب والدلالة خلعه وامّا قبض بلال ازاره لا يجعل ومن عظمه انه وقد علمت
ما فيه ويكفيك قوله صلى الله عليه وسلم لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس الا شهد له يوم القيمة
وانظر حال من تشهد له الخلائق يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
وقال صلى الله عليه وسلم المؤذنون اطول الناس اعناقا يوم القيمة وطول اعناقهم كناية عن علو مراتبهم
على الخلق اولا وبلال او انهم لا يخافون من شيء فيجعلون مثل المطول عنقه الآمن من الكعل المشتهي
من فزع يعقبه الخائف ومقام عسى ان يفرح به من العقاب الحذر اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون وقيل في قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين
انه من دعا الى الله هم المؤذنون نقله الشيخ الله تعالى الاية بقوله وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها
الا ذو حظ عظيم فبلال اعطيه شيئا وكان شهيدا يدخل الجنة من الشكل الاول بلال يدخل الجنة
اما الصغرى فلما ذكرنا من تلقيه واما الكبرى فلما تحتم في قوله الا الذين صبروا والضمير
في يلقاها الجنة على احد الاقوال ومن دخل الجنة فهو ذو حظ عظيم فبلال ذو حظ عظيم
ولقد قال الحسن ما على حظ دون الجنة ومما يناسب اخرها مع البيت دون غيره من
الصحابة ما قيل في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما انهم حين
انفضوا لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا وهم العشرة والحادي عشر بلال
واختلف في الثاني عشر فقيل عمار بن ياسر وقيل عبد الله بن مسعود وقد ظنا في هذا المعنى
ولنشر عنان القول فنقول ثبت بهذه التقديرات وجه تشبيه قلب الخليل عليه
السلام بقلوب سبعة من المصطفين ورايت بعض المتصوفين يذكر عدد السبعة ويسميهم
الغرباء واكثرهم على ذكر ستة بدل السبعة ويسمونهم الابدال قلت ويمكن تشبيه
قلوبهم بقلب الخليل عليه السلام اما بالوجه العام الذي اصطلحنا عليه في التشبيه فبين
وقد اضيف له صلى الله عليه وسلم عدد الستة في القران كما في سورة الانبياء من قصة كسر الاصنام
في قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده الاية فان فيها التصريح بقال منه اليه ست مرات وانما
تعد سبعا بالتكلف كما ذكرناه واما بالوجه الخاص المصطلح عليه ايضا وهو التشبيه بالصحابة
فيمكن ان يكونوا الستة القراء الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وغدروا فيهم
مرثد وخبيب وحمي الدبر وغيرهم وقيل انهم سبعة فيمكن التشبيه بهم ايضا ووجه التشبيه
ما وقع بهم من المحنة والله سبحانه وتعالى اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم والله تعالى في
الخلق



الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام اقول والله المستعان جبريل صلوات
الله عليه ثبت اختصاصه باضافة عدد الخمس اليه من حيث ان عدد حروف اسمه خمسة والخماسي
نهاية الاسماء باعتبار الحروف الاصلية والظاهر ان وزنه فعليل كقنديل وعبقرية وكبريت
على تقديم الطاء التاء ابو حيان كعنديل ومنع على تقدير انه عربي والظاهر انه اعجمي فهو ممنوع
الصرف للعلمية والعجمة وقيل انه مشتق من جبروت الله ورد بان العجمي لا يدخله الاشتقاق
وقيل انه مركب تركيب اضافة جبر بمعنى عبد وال اسم الله فمعناه عبد الله كعبد الله وغيره ورد
بانه لو كان كذلك لصرف وقال المهدوي هو على منع الفصل مثل حضرموت فهو على منع ممنوع
الصرف للعلمية والتركيب المزجي فان قلت اي شيء اخترت انه من خمسة احرف خاصة
وفيه ثلاث عشرة لغة ذكرها ابو حيان في اعرابه القران وغيره من المعربين والمفسرين قلت
انما اخترنا ذلك لان ما ذكرناه لغة اهل الحجاز وقرا بها نافع وابن عامر وابو عمرو وحفص
وقال حسان ... وجبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء ... ولا
خفا بترجيح اللغة الحجازية على غيرها وايضا الجاري على الالسنة فيها وغيرها منها ولا مرما
اشتهر واحدة من ثلاث عشرة ولما كان صلوات الله وسلامه عليه جسما لطيفا قادرا على
التشكل اي معنى حقيقة الملك من حيث الجملة وقد راه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صور مختلفة
فكثيرا ما راه على صورة دحية وساله ان يراه على صورته التي هو عليها فقال لن تستطيع الحديث مع
جبريل اختلف اسمه ايضا وتشكل باشكال مختلفة سيما على ظاهر من ذهب من يرى ان بين اللفظ
ومدلوله مناسبة طبيعية فان قلت ظهور جبريل عليه السلام في صورة دحية وغيره من
الاجسام الكثيفة فيه اشكال فانه اما ان يقال ان المرئي حقيقة جبريل ام شيء غيره تسمى جبريل
فان كان حقيقة جبريل بطل قولكم انه جسم لطيف فانه حال الظهور على تلك الصور كثيف والماهية
تنعدم بانعدام ركن من اركانها وقد عدم الفصل الذي هو لطيف فتنعدم الحقيقة فالمرئي غير
جبريل وان قلتم انه شيء غيره تسمى باسمه فكيف يوثق بما يتلقى منه قلت السؤال
قوي ولا انفصال عنه الا ان يقال قول السائل المرئي حقيقة جبريل ليس بشيء فان الحقيقة
الملكية او غيرها من الحقائق ليست متعلقة للرؤية وانما متعلقها العرضيات والصور
المختلفة فحقيقة جبريل الملكية ثابتة ولا بد لها من صورة تتصور بها وشكل كذلك
ومتعلق الرؤية الشكل والصورة لا الحقيقة اذ حقيقته شيء واحد لا يتبدل بتبدل الصور

والأعراض التركيبية كما أن حقيقة الإنسان لا تتبدل بالصغر والكبر والصحة والمرض والهرم
من العرضيات كمن أخذ شمعا فشكله على شكل ثم على آخر فالحقيقة الشمعية ثابتة والأشكال
تتبدل وعن الحقيقة يعبر الحكماء بالهيولى وعن الشكل يعبرون بالصورة والله أعلم ومما
يدل على إضافة عدد الخمس له عليه السلام إقامته الصلوات الخمس للنبي صلى الله عليه وسلم وإمامته
له فيهما على القول به وإقامته أوقاتها وغير ذلك ومن إضافة عدد الخمس إليه سؤاله عن قواعد
الإسلام الخمس التي تضمنها حديث عمر على ما في صحيح مسلم فقوله شهادة أن لا إله إلا الله وأن
محمدا رسول الله قاعدة وإقامة الصلاة قاعدة وإيتاء الزكاة قاعدة وصوم رمضان رابعة وحج
البيت خامسة ومنه سؤاله عن قواعد الإيمان فجوابها أنها خمس فالإيمان بالله ورسوله قاعدة
وكما كان في الإسلام الذي هو النطق باللسان وهو من أعمال الجوارح الظاهرة شيئا واحدا
كذلك أيضا ما في الإيمان الذي هو التصديق القلبي وأيضا الإيمان بالله والإيمان بالرسول
متلازمان من يطع الرسول فقد أطاع الله وأما حكمة تأخير لا يجوز له سؤال عن الإيمان بالملائكة
والكتب فجملة التقسيم من قوله تعالى آمن الرسول وهو من أشبع الكلام في ذكر الدين
فالإيمان بالله الواحد منها والإيمان بالملائكة قاعدة ثانية والإيمان بالكتب ثالثة والإيمان
باليوم الآخر رابعة والإيمان بالقدر خامسة وأما قوله في الإحسان أن تعبد الله كأنك
تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فإنه راجع إلى القسمين أعني الإيمان والإسلام وكأنه تنبيه
على وجوب المراقبة فينبغي للعابد أن يشعر نفسه حال العبادة أن الله تعالى يراه فإذا كل
عبادة تجب فيها المراقبة فهي خمس مراقبات لخمس أعمال الجوارح التي هي قواعد الإسلام
وخمس لأعمال القلوب التي هي قواعد الإيمان ومنه سؤاله عن الساعة وقول النبي
صلى الله عليه وسلم ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ثم قال عليه السلام في خمس من الغيب لا
يعلمهن إلا الله وتلا إن الله عنده علم الساعة الآية فهي خمس كما ترى وكذا حين سأله
عن أشراطها فإنه أجابه بخمس صفات بقوله أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة
رعاء الشاء يتطاولون في البنيان على ما في حديث عمر المذكور فولادة الأمة ربتها علامة على انفرادها
وكذا كل واحدة من الصفات المذكورة بعدها علامة على انفرادها وإن كان الظاهر خلافه
فسؤاله عليه السلام في هذا الحديث تضمن خمسة فصول في كل فصل خمسة أشياء ومما
يدل على إضافة عدد الخمس له عليه السلام حديث المستهزئين الذين أشار إليه بقوله تعالى إنا



كفيناك المستهزئين على ما ذكر ابن إسحق من أن عظماءهم خمسة وهم الأسود بن المطلب وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعا عليه فقال اللهم أعم بصره وأثكله ولده والأسود بن عبد يغوث والوليد بن المغيرة والعاصي
بن وائل والحارث بن الطلاطلة فلما تمادوا في الشر والاستهزاء أنزل الله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض
عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون ثم أتى جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام النبي صلى الله عليه وسلم إلى جنبه فمر به الأسود
بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى
بطنه فمات منه حبنا ومر به الوليد فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك
بسنين وهو يجر سبلته ومر بقضو ثيابه وذلك أنه مر برجل يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله
بإزاره فخدش في رجله ذلك الخدش وليس بشيء فانتقض به فقتله ومر به العاصي فأشار إلى أخمص
رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته
ومر به الحارث فأشار إلى رأسه فامتخض قيحا فقتله انتهى ومما يمكن أن يكون مضافا إليه
من عدد الخمس عليه السلام ما أوتيه النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس التي أعطيها في قوله صلى
الله عليه وسلم أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي الحديث فإن الظاهر أن جبريل هو الذي نزل عليه بذلك
وهذا كله إذا تتبعته وجدت أحاديث كثيرة لا يخفى عليك أن اختصاص جبريل عليه السلام
بموافقة صفة قلبه لصفة قلوب خمسة من أولياء الله تعالى ليس بالتعيين هنا على الإطلاق
وإنما على الوجه الخاص أيضا فيمكن أن تكون إشارة بالخمسة الذين قلوبهم على قلب جبريل
عليه السلام إلى حمزة والعباس عمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب والحسن
والحسين رضي الله عنهم وأرضاهم وحشرنا في زمرتهم وإنما قلنا ذلك لأن جبريل صلوات الله
عليه كان من وظيفته الحماية للنبي صلى الله عليه وسلم ودفع الأذى عنه ما لا يسع أحد جهله وكذا
شأنه عليه الصلاة والسلام مع سائر الأنبياء صلوات الله على جميعهم وانظر مبادرته حين
نزل إلى الخليل إذ رمي في المنجنيق ومبادرته يوسف عليه السلام حين رمي في الجب إلى غير
ذلك مما ثبت من رأفته بالأنبياء والرسل ودفعه عنهم المكاره صلى الله على جميعهم وسلم وقد
تقدم لنا ما فعل بالمستهزئين وإعانته على هزيمة الجيش يوم بدر وهذا كان شأنه مع أولئك الخمسة
الذين هم أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحوطونه ذلك فإن أخو من يدفع عن المرء
ويرأف به قريبه وأخوه .. أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح

بعد ان جرح، ومقاماته الشهيرة وما كان منه يوم بدر ويوم احد رضي الله عنه ورفع درجاته في
اعلا عليين وهذا العباس ملازمته له صلى الله عليه وسلم بكل مكان بحيث لا تخفى على احد
لا على كمه ولا يرد له انقراد حتى في حال كفره قبل اسلامه فانه حضر معه صلى الله عليه وسلم العقبة
الثانية فقدم مع النبي صلى الله عليه وسلم على الانصار حين كانوا يبايعونه صلى الله عليه وسلم بالشعب
في جوف الليل فكان اول من تكلم العباس وكان على دين قومه الا انه اراد ان يتوثق لابن اخيه وقال يا معشر
الخزرج وكانت العرب يسمون الانصار الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم
وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابا
الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه
ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم
فمن الان فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه وبلده انتهى كلامه رضي الله عنه فانظر ما فيه من
الرفق والحماية عنه صلى الله عليه وسلم ومن شانه في الكفر فكيف في الاسلام بعد تبين الهدى
لمثله واما علي رضي الله عنه وارضاه وجعل اعلا عليين مقامه ومثواه فحمايته عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبذله نفسه الكريمة دونه فامر غير خاف لا يحتاج الى بيان اذ هو من اظهر الضروريات
وقرب منزلته منه كذلك وكفاك قوله صلى الله عليه وسلم له لما خرج في غزوة تبوك وخلفه وقال
المنافقون انما خلفه استثقالا له فاخذ سلاحه وخرج اليه واخبره بما قال المنافقون فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوا انما خلفتك لما تركت ورائي وكان خلفه في اهله وامره
بالاقامة فيهم ثم قال يا علي الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي
الى غير ذلك من فضائله التي لا تحصى ومفاخره التي لا تستقصى واما الحسن والحسين
فسبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنا ابنته فاطمة البتول وغير خاف محبته لهما ومحبتهما
له فلا نكثر بذلك فان قلت كيف يحصل الرفق منهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
مات وتركهما صغيرين قلت الرفق عنه صلى الله عليه وسلم لا يختص بوقت حياته بل قد
يكون بعد موته وربما كان بعد موته افضل وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحسن ابني هذا سيد
ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وكان كما اخبر به صلى الله عليه وسلم
فانه رضي الله عنه ترك الخلافة رغبة لحقن دماء المسلمين وخمود الفتنة وهذا من اعظم الرفق
عن سنة المصطفى والسعي في مراعاة حقوق الامة والله اعلم فظهر وجه التشبيه والحمد لله

وقوله



**وقوله** صلى الله عليه وسلم ولله تعالى في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل **اقول**
وبالله استعين ميكائيل عليه السلام ايضا صفة الله عدد الثلاثة منها ما ذكر ابن عطية رحمه
الله في سبب نزول قوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل قال اجمع اهل التفسير على ان اليهود
قالت جبريل عدونا واختلف في كيفية ذلك على بعض الاقوال ان يهود فدك قالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم نسألك عن اربعة اشياء فان عرفتها اتبعناك فسالوه عما حرم اسرائيل على نفسه فقال
لحوم الابل والبانها وسالوه عن الشبه في الولد فقال ماء اي ما علا كان الشبه له وسالوه عن
نومه فقال تنام عيني ولا ينام قلبي وسالوه عمن يجيئه من الملائكة فقال جبريل فلما ذكره
قالوا ذاك عدونا لانه ملك الحرب والشدائد والخوف ولو كان الذي يجيئك ميكائيل ملك
الرحمة والخصب والامطار لاتبعناك انتهى فذكر له ثلاث صفات كما ترى **قلت**
وايضا لما كان هو الملك الموكل بالاقوات كان اكثر مناولة للامور ثلاثة ازمنة بين الليل
والنهار على ما جرت به عادة الناس في الغالب من الحاجة الى الطعام في اول النهار ووسطه واخره
وبحسب السنة ايضا ثلاثة فصول فصل الربيع والصيف والخريف اذ فيها تكمل الاقوات على
ما جرت به عادة الله سبحانه ففصل الربيع لاقوات البهائم وشيء من اقوات الانسان وفصل
الصيف اكثر لاقوات الانسان كالزروعات ونحوها وفصل الخريف للفواكه واما فصل
الشتاء فليس فيه قوت الا من معالجة بعض الخضراوات وان كان في الحقيقة سببا النماء للاقوات
اذ فيه يكون غالب الامطار التي تختزنها الارض فيتكون عنها ما يتكون وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون والمقصود زاده الله علا
على حكم مخلوقاته انما هو عبادة الله تعالى وتوحيده ونفي الشريك والند قال تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة
المتين فاحتياج هذا الملك الى المناولة في هذه الثلاثة الفصول لامر فسبحان من هذه
حكمته وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد فاذا ثبت اختصاص هذا الملك عليه السلام
باضافة عدد الثلاثة اليه فغير مستبعد ان يخلق الله من عباده الصالحين ثلاثة ويجعل
قلوبهم على قلبه ويخصهم بهذا النوع والله اعلم باهل الصفات والمطعمين الطعام وقد
ذكر القضاعي صاحب الشهاب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عمل افضل من اشباع
كبد جائع وقال تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا واختلف في الضمير

في حبه فقيل عائد على الله وقيل على الطعام اي على حب الطعام ومن يسميه عقلاء المعاني التتميم
وهو ان يؤتى في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة في من الاية فان
الاطعام الطعام مع حبه والحاجة اليه افضل من اطعامه على الاستغناء ليس العطاء من الفضول سماحة
حتى تجود وما لديك قليل قال تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وانظر ذكر
في الاية ثلاثة اصناف من المطعمين وهو من المناسب لما نحن فيه اذ من المحتمل ان يكون لكل
صنف مطعم ويحتمل ان تكون الاشارة بالثلاثة الذين قلوبهم على قلب ميكائيل عليه
السلام الى الثلاثة من الاربعة الخلفاء الذين هم ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ووجه تشبيه
قلوبهم بقلب ميكائيل عليه السلام انه كما قلنا يتولى امر الاقوات وبه ينتظم المعاش
كما ان المطر الذي ينتظم به اقوات العباد ودوام المعاش مع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لما
ورد انهما سبب في الخصب وتركهما سبب في الجدب وعلة هذا كلامية وذلك ان المطر اذا كان
عن ظلم او كهانة وتزاحم الناس عليها وتركوا اوكانهم واشتغلوا الدنيا وما شك ان لم يكن سبب في تكثير
الارزاق من التجارات والمزارع والمكاسب وغيرها ولما كان الصدر الاول بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخلفاء الاربعة وكان الثلاثة منهم اعني ابا بكر وعمر وعثمان لم ينازعهم احد الخلافة
ولم تظهر فتنة في زمانهم اجمع كثرت ارزاق المسلمين وتمكنوا من اقامة الدين غاية التمكن وللاتزا
الاساعيا في امور الاخرة من الاشتغال بالغزو والعلم وانواع العبادة من الجهاد وغيره لما كفوا كلة
مؤن الاشياء وكثرة ارزاقهم وسببه ان العدل قاصلاح الرعية ومن ثم كان الامام العادل من
الذين يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله على ما ثبت في الصحيح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان احب الناس الى الله يوم القيمة وادناهم منه مجلسا امام عادل وقال عليه السلام الخلق
كلهم عيال الله فاحبهم اليه انفعهم لعياله وقال عليه السلام لن تهلك الرعية وان كانت
ظالمة مسيئة اذا كانت الولاة هادية مهدية ولكن تهلك الرعية وان كانت هادية مهدية
اذا كانت الولاة ظالمة مسيئة ذكر من الاحاديث الثلاثة الاخيرة صاحب الشهاب واما
علي رضي الله عنه فانه لما ولي الامر لم يخلص له ونوزع فيه وكان من الامر ما كان مما يجب
الامساك عنه وان كان كلهم محقا لان حكم الله في حق كل مجتهد ما ادى اليه اجتهاده سواء
قلنا ان كل مجتهد مصيب ام لا وهم رضي الله عنهم كلهم مجتهد ليس مذهب احد منهم حجة على
غيره وذلك متفق عليه عند اهل الاصول فاذا علمت هذا تبين لك وجه تشبيه قلوب سواء

الثلاثة



الثلاثة بقلب ميكائيل عليه السلام والله المستعان **وقوله** صلى الله عليه وسلم والله تعالى في
الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل عليه السلام **اقول** وبالله التوفيق اسرافيل عليه
السلام ثبت اختصاصه بالخطة الواحدة ومن نفخة في الصور للاحياء وان تكون الا واحدة
قال تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة فواحدة قال النحاة انه نعت توكيد لان التاء في
نفخة تدل على الوحدة فنعتها بواحدة نعت تاكيد ثم قال تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم
خافية فان قلت انهما نفختان نفخة الصعق ونفخة الاحياء وقيل ثلاث نفخة الصعق
ونفخة الفزع ونفخة الاحياء فباي وجه اعتبرت نفخة الاحياء دون غيرها قلت
الصحيح انهما نفختان وادلة ذلك قوله تعالى ويوم ينفخ في الصور ففزع وقوله ونفخ في الصور فصعق
على التغاير وفائدة التعبير بالفزع في موضع وبالصعق في اخر انه لما قيل ويوم ينفخ بصيغة
المستقبل ناسب ان يذكر معه الفزع لا الصعق فانه لم يخرج مخرج الوقائع ولما عبر بصيغة الماضي
في قوله تعالى ونفخ ناسب ان يذكر الصعق وهو وان كان مستقبلا معنى لكنه لما نزل منزلة الواقع
فلذلك عبر بالماضي فالفزع مناسب لما سيقع والصعق لما وقع او لما نزل منزلته وانما
اعتبرنا نفخة الاحياء دون الاماتة لان نفخة الاماتة عمل يشاركه فيه ملك الموت قال تعالى
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ونفخة الاحياء خطة خاصة به فلهذا اعتبرت دون
غيرها فان قلت ان الذي ينفخ في الصور غير اسرافيل على ما اخرجه الحافظ ابو نعيم
وقال الامام ابو عبد الله القرطبي في كتاب التذكرة قال علماؤنا والامم مجمعون على
ان الذي ينفخ في الصور اسرافيل وذكر ابو نعيم بسنده عن عبد الله بن الحارث قال
كنا عند عائشة وعندها كعب الاحبار فذكر كعب اسرافيل فقالت عائشة يا كعب اخبرني عن
اسرافيل فقال كعب عندكم العلم قالت اجل فاخبرني فقال له اربعة اجنحة جناحان في الهوى
وجناح قد تسربل به وجناح على كاهله والعرش على كاهله والقلم على اذنه كذا فاذا انزل
الوحي كتب القلم ثم درست الملائكة وملك الصور جاث على احدى ركبتيه وقد نصب الاخرى ملتقما
الصور محنيا ظهره شاخصا ببصره ينظر الى اسرافيل وقد امر اذا رأى اسرافيل قد ضم جناحيه
ان ينفخ في الصور فقالت عائشة رضي الله عنها هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول غريب من حديث كعب لم يروه عنه الا عبد الله بن الحارث ورواه خالد الحذاء عن الوليد
بن بشر عن عبد الله بن رباح عن كعب نحوه قلت ذكر القرطبي ان ما اخرجه ابو

في سنن الترمذي وغيره يدل على أن صاحب الصور إسرافيل عليه السلام ينفخ فيه وحده وحديث ابن
ماجة يدل على أن معه غيره فإن فيه أنه ينفخ فيه وحده برأسه والآخر بهامله الصور أمر أن يرتقب بنفخه في
الصور خلف جناح إسرافيل عليه السلام وعلى كل تقدير إسرافيل قد جعل سببا في نفخة الإحياء
لأن سببه السبب سبب والله أعلم فإذا ثبت اختصاصه بالخصلة الواحدة فلا يبعد أن يجعل
الله واحدا من عباده المخلصين قلبه على قلبه فإن قلت فهلا جعلته عن أمر موقوف
بالوحدة مما أضيف إلى إسرافيل كما كان في أبدال غيره قلت هنا وإن أمكن أن يوجد
لاكن لما كان مشابهه واحدا ناسب أن يقتصر فيه على ذكر الخصلة الواحدة التي أضيف مشابهها
لمشابهه وهو شبيه بما يقوله الحكماء أن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد وإن كان كلاما
باطلا بالأدلة القاطعة على ما تبين في الكلام وأيضا فإن هذه الصفة وإن كانت واحدة إلا
أنها سبب في إحياء الخلق كافة من اشتمل منهم على الصفات المذكورة قبل ومن لا فإذا هي
جامعة خصالا شتى كما ترى وإذا كان السعي في إحياء نفس واحدة كالسعي في إحياء جميع
النفوس لقوله تعالى ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا فما بالك بالسعي في إحياء جميع النفوس
وكذا القول في الإماتة ويحتمل أن تكون الإشارة بالواحد الذي قلبه على قلب إسرافيل إلى
أبي بكر الصديق رضي الله عنه ووجه ذلك أن إسرافيل عليه السلام كما قلنا خص بالخصلة التي بها
يحيي الله الخلائق وهي النفخة وكذلك أبو بكر رضي الله عنه على ما حكي أنه كان سببا في بقاء معظم
الأمة فإنهم لو تمادوا على امتناعهم من الإسلام لأهلكهم الله تعالى كما أهلك من قبلهم
فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه كان ذلك سببا في إسلام من أسلم فارتفع سبب استحقاق
الهلاك وثبت الإحياء وكأنه سن سنة الإسلام ومن سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر
من عمل بها إلى يوم القيامة ولهذا كان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال
في المدونة لما سئل عن ذلك أو في ذلك شك قلت إنما يصح هذا أن لو كان هو أول من
أسلم وليس كذلك فإن أول رجل أسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبعده زيد بن حارثة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعدهما أبو بكر فكيف يصح ما ذكرته قلت أما إسلام
علي رضي الله عنه فلم يقع عند القوم له الموقع حتى يوجب اقتداءهم به فيسلمون
بإسلامه لأنه كان صغير السن يومئذ فإنه كان ابن عشر سنين وأما زيد فلكونه مولاه
لم يعتبروا ذلك لا اعتبارا بخلاف أبي بكر رضي الله عنه فإنه كبير في قومه ولما أسلم أظهر إسلامه



ودعا إلى الله وإلى رسوله وكان مألفا لقومه محببا سهلا وكان رجال قومه يأتونه لغير واحد يدعو من
من الأمر لعلمه فإنه كان أنسب قريش وأعلم قريش بها ولتجارته وحسن مجالسته فجعل يثق
به منهم إلى الإسلام حتى أسلم بدعائه عثمان والزبير وابن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة
ثم ذكر ابن إسحاق وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غضب حين تكلم مع عمر
بن الخطاب وإياه هل أنتم تاركوا لي صاحبي إذ قلت لا إله إلا الله فكذبتموني وصدقني حسبما
في الصحيح وهذا يشهد لما قلناه وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت عنده فيه كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من ابن أبي قحافة
ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه قوله ما عكم أي ما تلبث ويحتمل
أن تكون الخصلة الموجبة لتشبيه قلب أبي بكر بقلب إسرافيل هي مقاتلة أهل الردة
من العرب فإنه لو لم يقم بذلك لارتد أكثر الناس وفيه إماتة الدين فلما قاتلهم عن ذلك ردهم
إلى الإسلام وفي ذلك إحياء السنة كان ذلك تشبيها بالإحياء المسبب عن نفخ إسرافيل
فإن قيل فلم عددتم أبا بكر قبل هذا في الثلاثة فما وجه ذكركم له ثانيا قلت
لا منافاة بين اعتبار واحد من جهة ثم اعتباره من جهة أخرى لما خص به من الفضائل نعم
ثلاثة المائة من عدتهم في الأربعين وفي السبعة والثلاثة والخمسة وما يبعد في ذلك وقد
قال أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم وقد سمعه يقول إن للجنة بابا يدخل منه الصائمون وبابا
يدخل منه أهل الصلاة إلى آخر الحديث يا رسول الله ما على من يدخل من تلك الأبواب فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم أرجو أن تكون منهم وهذا يدل على ما قلناه فظهر وجه التشبيه
والحمد لله حق حمده وبقي علينا في التشبيه وجه آخر عام في الجميع وهو أن
نقول الغرض من هذا الحديث الاعتناء بإظهار شرف النبي محمد صلى الله عليه وسلم المخلوق
من أجله العالم ولمعرفة الله سبحانه والتفضل بالنعم على المخلوقات ولما كان آدم صلوات
الله عليه هو السبب في هذا النسل وإنه أبو البشر الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكان الله تعالى جعل آدم في هذا العالم لا أهله منه إلى زمان بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان ثلاث المائة سواء قلنا إنهم من اشتمل على صفة العلماء وأهل بدر فإن كانوا
من المشتملين على صفة العلم فإن الله حفظ بهم دينه وسنة رسوله لا أن آدم كان الحفظ
منه سابقا ومن هنا كان لاحقا وإن كانوا أهل بدر فإنهم سبب في إعلاء كلمة الدين لقتالهم من خالفه

وأمّا موسى صلوات الله عليه فإنه بشّر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر به قبل وجوده لأن
صفته كانت مكتوبة في التوراة لقوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة الآية
لأنه أقام سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فلا شك في صفته وكذلك الحواريون الذين أقاموا
الجمعة فإنهم أظهروا سنته عليه السلام وأقاموها بالمدينة وأخبروا أنه سيقدم أو
يقال إن موسى عليه السلام حصل العلم بقوله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبعث
وكذلك هؤلاء الأربعون لكونهم عدد التواتر بعضهم بعض على ما تقدم حصل العلم بقولهم
أنه يقدم المدينة فإن قلت وعيسى عليه السلام بشّر به لقوله تعالى حكاية عنه
ومبشرا برسول يأتي الآية فكان حقيقا بتشبيه صلاة أبيه قلت نعم إلا أنه سينزل في هذه
الأمة في آخر الزمان ويهديهم منهم على ما في الصحيح فلم يعده عليه السلام الكهار شرب
المصطفى والوجه عن سنته وأمّا إبراهيم عليه الصلاة والسلام فلما كان الأب الأقرب
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم وأقام جملة من أمور السنن كمعالم الحج والمشاعر وبناء
البيت والأذان بالحج في الناس وكالخصال العشر المارة بقوله تعالى وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات
فأتمهن الآية وهي قص الشارب ونتف الإبط وغير ذلك مما أخرجه مسلم في صحيحه وكان الله
أنه منه من سنن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكأنه حفظها عليه قال تعالى ملة أبيكم إبراهيم
هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا وكذلك الشيعة الذين شبهوا به عليه السلام لما
شذ في أن كل واحد منهم حفظ من السنن أمورا عظيمة وذلك لا يخفى وأيضا ما حصل فيهم
من الابتلاء وكان ابتلاؤه عليه السلام والصبر على ملازمة الدين تعليم لأمة محمد صلى الله
عليه وسلم أن يصبروا على دينهم إذا افتتنوا ولهذا قال عليه السلام على ما رويناه في صحيح
مسلم ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما
سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه
كما يكره أن يقذف في النار وإنما شبّه صلى الله عليه وسلم العود في الكفر بالقذف في
النار لوجهين أن الموت على الكفر سبب في دخول جهنم وإذا التبس بالسبب استوجب
القذف في المسبب فإذا عاد إلى الكفر كأنه قذف بنفسه في النار ولغير ضرورة هنا من العاقل
عبّر بيقذف المبني لما لم يسم فاعله والله أعلم الثاني أنها سنة الخليل عليه السلام حين
وجد حلاوة الإيمان التي هي ما بقوله تعالى ملة أبيكم إبراهيم ومن ثم يتبين لك قوة وجه

عن العشر كلمات [illegible]

ادخال

ادخال بلال رضي الله عنه في التشبيه فإنه مع كونه مبشرا بالجنة اشتمل على وصف مما
اشتمل عليه الخليل من الفتنة بالإلقاء في الرمضاء الشبيه بالقذف في النار والحاصل أن فائدة الخليل
عليه الصلاة والسلام أمن في الناس بالحج وبلال أمن بالصلاة وأما جبريل
عليه السلام فقد تقدّم ذكر رؤيته بالنبي صلى الله عليه وسلم وتمام رفعته عند الإسراء
وكذلك الخمسة المذكورون رضي الله عنهم فإنهم أمثل بيت الوحي فمناسبة تشبيههم
بترتيبه بالوحي وهو جبريل عليه الصلاة والسلام وأما ميكائيل عليه الصلاة
والسلام فلما كان ملك الرحمة والخصب والأمطار كان تقدم كانت سببية لجميع
العالم الذي هو مخلوق من أجل محمد صلى الله عليه وسلم أظهر من سببية غيره فيما يتعلق
بذلك وكذلك الخلفاء الثلاثة سعوا في حفظ السنة أتم سعي فقد قاتل أبو بكر أهل الردة
وقاتل بني حنيفة لما منعوا الزكاة وهي فرع من فروع الإيمان وقال والله لو منعوني
عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه وقال لأقاتلن من فرق
بين الصلاة والزكاة وهذا عمر صاحب الفتوحات العظيمة وهذا عثمان جهز جيش العسرة
وأحضر للنبي صلى الله عليه وسلم ألف دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جعل يقلبها
بين يديه اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض وكذلك منذ أسلم رضي الله عنه في حياة النبي صلى الله
عليه وسلم ولم يزل كذلك يعرفونه وانظر استفتاحه بلاد المغرب حتى أعلى إخماد الكفر وإعلاء
كلمة الله العلي وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كل منهم رضي الله عنهم حريص على حفظ
السنة والذب عن دين الله وذلك كله سببه الاعتناء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأما
إسرافيل عليه السلام فمناسبة النفخ في الصور إحياء الخلق يوم القيامة وفي ذلك يظهر فيه
شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم على سائر الخلق ويوم يبعثه الله المقام المحمود وتنجلي
الخلائق إلى شفاعته ويقول كل نفسي نفسي ويقول هو عليه الصلاة والسلام أنا لها أنا لها
إلى غير ذلك مما شرفه الله به في ذلك المقام مما لا يحيط عنه وصف ويظهر حينئذ أيضا ما
خص الله به السعداء الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك
هم المفلحون فيبين لهم من الإكرام ما أعد لهم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال
عليه الصلاة والسلام اقرؤوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين الآية ويظهر
أيضا ما أعد للأشقياء الذين كفروا به ولم يمتثلوا أمره من العذاب الأليم والخلود في النار

الجحيم ما لا يغفره الا العزيز العليم الغفور الرحيم غفر لنا ما اجترحنا وستر علينا ما اقترفنا
بجاه هذا النبي صلى الله عليه وسلم المخصوص منه بغاية العناية والشرف وظهر بهذا استعمال
هذا الملك عليه السلام في اسباب الطهارة شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا شك ان ابا بكر رضي الله
عنه لم يسبقه احد سبقه في رضى الله ورضى رسوله صلى الله عليه وسلم ومواضع الخير الدالة
من الكتاب والسنة اكثر من ان تحصى فلنقتصر على هذا القدر في شرح معنى
التشبيهات فانه كاف ونسئله جل وعلا بجاه محمد صلى الله عليه وسلم وجميع انبيائه وملائكته
واصحاب رسوله وعباده الصالحين ان يختم لنا بالسعادة وان يستعملنا بما يحبه ويرضاه
انه ولي ذلك والقادر عليه ولنرجع الى شرح ما بقي من الفاظ الحديث
**وقوله** صلى الله عليه وسلم فانه امانة الواحد بالله مكانه من الثلاثة الى قوله من العامة
**اقول** والله المستعان هذا المعنى بين ويدل على صحته قوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الاخر لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى يأتي امر الله وحتى يقاتلهم الدجال
وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث اخر لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الارض
من يقول الله الله جروا بنصب اللفظتين الكريمتين ومعناه حتى لا يبقى من يقول اتقوا
الله او راقبوا الله وما هذا معناه مما فيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا شك ان
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مقامه من الدين اعظم من ان يخفى ولولا ما شرطنا من
الاختصار في شرح معنى الحديث والشرك لاملينا ما يتعلق به من الاحكام ومرتبته
من الدين وما ورد فيه من الاثار وعليك بطلبه في مظانه ولا شك ان المتلبس بالافضل
افضل والامر بالمعروف والناهي عن المنكر متلبس بالافضل ويروى برفع اللفظتين
الكريمتين اي لا يبقى من يقول هذا اللفظ فهو محكي ومعناه كالاول والله اعلم الالتجاء
الى الله في الشدائد وهذا دليل على اخلاص توحيد المتلبس بذلك الاحاديث الدالة على
ان الساعة لا تقوم الا على شرار الخلق وان اهل الخير فانون الى انقضاء الزمان كثيرة جدا وانما
الغرض الاشارة اليها **وقوله** صلى الله عليه وسلم فيهم يحيي ويميت الى اخر الحديث **اقول**
وبالله التوفيق تفسير ابن مسعود لهذه الكلمات كما مر وكانه والله اعلم لف ونشر
مرتب في حق الانبياء المذكورين في معنى الحديث عليهم السلام ومعكوس في حق الملائكة
المذكورين فيه ايضا عليهم السلام فادم عليه السلام احيى الله به الخلق اذ هو سبب

في النسل



في النسل واما الاماتة فيكون بها غاية الامر الا ان فعل الانبياء اماتة انه لو لم يكن خلق لم تكن اماتة
ولذلك قيل لبعضهم متى مات فلان فقال يوم ولد وموسى عليه السلام استسقى لقومه فانفجرت
له اثنتا عشرة عينا وهذا نوع من الامطار وقال له قومه ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض
من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير
اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم واما قوله صلى الله عليه وسلم ويرفع البلاء فكان هذا
والله اعلم خاصية الخليل فان الله تعالى دفع عنه البلايا فقال للنار كوني بردا وسلاما وفداه
حين الذبح ولده عليه السلام وفديناه بذبح عظيم وفيه تفريج عن ابراهيم الى غير ذلك من دفع
البلاء عنه لما خصه الله به من الفضل تفضلا منه سبحانه عليه ولا يبعد عندي ان يدفع به عمن
شابهه كما دفع عنه ومما يناسب ان تكون هذه خاصية الخليل انه خص بابتلائه عدد الخصال
السبع الاتية في غير موضع كما مر وقد عهد استعمال عدد السبع فيما فيه التداوي كقوله صلى
الله عليه وسلم اهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل اوكيتهن لعلي اعهد الى الناس وقوله صلى
الله عليه وسلم من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر وقد رد هذا المعنى
ابو الوليد بن رشد في امره صلى الله عليه وسلم بغسل الاناء من ولوغ الكلب سبعا فقال
حكمة ذلك مخافة ان يكون الكلب كلبا فربما يلقى من ريقه في الاناء شيئا فيتاذى به الذي
المستعمل له قبل الغسل وكان مستغنيا للتقليب وقد عهد ذلك لا سيما فيما فيه سم كما تقدم
في حديث من تصبح ولو كان الغسل المامور به للنجاسة لكفى فيه اقل ما يزيلها كما في غيرها
من النجاسات انتهى ومعناه من محاسن فقه المصيب واما ايراده معكوسا في حق الملائكة
فاسرافيل عليه الصلاة والسلام ينفخ نفخة الاماتة ونفخة الاحياء وميكائيل عليه
السلام خازن الاقوات ولا تكون الا بالامطار والانبات وجبريل عليه السلام هو
الموكل بدفع البلايا عن الانبياء عليهم السلام وغيرهم فان قلت ما حكمة هذا
الترتيب قلت الغرض كما قدمناه غير متمم ابتغاء العالم الملهم للحكمة المذكورة ولا شك
ان الاحياء اول الوجود فوجب تقديمه وذكرت الاماتة معه وان كانت الحكمة تقتضي
تاخيرها عن الامور كلها للتقابل بينهما لانها ضد الاحياء والضد اقرب خطورا بالبال
عند ذكر ضده وايضا التنبيه من اول الامر على ان العالم مخلوق للفناء وان المقصود
بالذات الدار الاخرة قال تعالى الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا فقدم

الموت وإن كانت متأخرة تنبيها على أن المقصود ما بعدها وأما الإمطار والإنبات فسببان في
في استمرار الحياة على ما جرت به العادة وأما دفع البلايا فإنه لابد في بقاء النفوس من جلب المصالح
وهو ما ينشأ عن الإمطار والإنبات ودرء المفاسد وهو دفع البلايا فإن قلت
قد استبان حكمة ترتيب هذه الأشياء فما حكمة كون هذا القطب والنشء منها في حق الأنبياء عليهم
السلام وميكوسا في حق الملائكة عليهم السلام قلت أما حكمة الترتيب في حق الأنبياء
عليهم السلام فظاهرة بما تقدم وأما عكسه في حق الملائكة فإنما كان لأن المقصود الترقي
في الأعداد التي شبهت بمن ذكر وبلا شك أن الأنسب الانتقال من عدد إلى أقرب عدد إليه
بالنسبة إلى ما ذكر في الحديث من الأعداد ومعلوم أن الأقرب إلى السبعة مما ذكر في الحديث
من الأعداد بحسب الترقي الخمسة والأقرب إلى الخمسة كذلك أيضا الثلاثة ولم يبق بعدها إلا الواحد
فلذلك وأيضا فيه إشارة إلى أن رجوع الأمر في الدار الآخرة إلى الواحد وهو الله تعالى
قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وتفهيم كما أن أمور الدنيا تنتهي إلى الواحد
كذلك أمور الآخرة وإنما نبه على أن الله تعالى ينفرد بالملك في الدار الآخرة وإن تفرد به سبحانه
وتعالى في الدنيا لأن الملك حقيقة إنما هو الله لأن بعض الجهلة الأغبياء ادعوا أنه لهم في
الدنيا ولا يوجد من يدعيه في الآخرة والله سبحانه أعلم **تنبيه** قوله صلى الله عليه وسلم
إن لله في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم وكذا قوله إلى آخر الحديث فيه
عشرة أبحاث الأول فائدة تخصيص اسم الجلالة وهو قوله الله دون الخالق والبارئ
أو غيره مما يناسب الخلق أنه الاسم الجامع لجميع معاني الصفات حتى قيل إنه اسم الله
العظيم وأيضا فإن مادة لفظ الإله دالة على العبودية ففيه إشارة إلى أنهم مع
اتصافهم بما أكرمهم الله به عبيد نبيا كان أو ملكا أو وليا فعيسى وغيره عبيد
الله الثاني تقديم المجرور في قوله لله يدل على الاختصاص أي هم له لا لغيره
وفي الإشارة إلى الوحدانية الثالث قوله في الخلق ومن الخلق فيه إشارة
إلى أنهم متميزون في أنفسهم غير معلومين لكل واحد بل أخفاهم الله عن الخلق إلا
من شاء رحمة للاطلاع عليهم أو إلى أنهم قليلون فقليل ما هم وأنهم أفضل من غيرهم
فتكون في شبيهة بالتي للمغايرة في الجملة وليست بها إذ لا يصرف لهما على
هذه إلا بتكلف ومثالها قوله صلى الله عليه وسلم ما أنتم في سواكم من الأمم إلا

كالشعرة



كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود وتحتمل التبعيض مثل المعنى فيها دار الخلق الرابع
فائدة قوله الخلق دون خليقه مع أن المقام يقتضي الإضافة لأنها التي تفيد الاختصاص التنبيه
على أنهم هم الخلق الكاملون في جنسهم أو هم نوع لذلك الجنس يفيد مبالغة كأنهم الذين
حصل منهم المقصود من الخلق وهي عبادة الله ورسوله والأول أدل على هذا من الإضافة نظير
ذلك الكتاب أي الكامل في جنس الكتب السماوية الخامس حكمة ذكر الخلق دون الناس
التنبيه على الفرق وأنهم خلق الله واختراعه وأنهم محروسون وكل محروس إنما حكمه العبودية
ولا يعطي ذلك لفظ الناس السادس فائدة عدم التصريح بالمعدود في قوله ثلاثمائة
التنبيه على خفاء حالهم وهو كما قال في الخلق وهو يدل على أنهم مستترون ليذهب
الوهم كل مذهب أنهم رجال أو نساء أم جن أم ملائكة وهذا شأن الأفضل إخفاؤه وقد
عهد ذلك في الشريعة كإخفاء الاسم الأعظم وليلة القدر والصلاة الوسطى وما أشبهه
السابع حكمة التنكير في قوله ثلاثمائة ثم ونحو ثلاث الآية وكذا سبعة وثلاثة
وبقيتها إفادة التعظيم أي سبعة وأي سبعة أو التقليل أي أنهم من حيث العدد
وكثرة عدد أبناء جنسهم قليلون وإن كانوا في الفضل كثيرين الثامن فائدة
الجمع في قوله قلوبهم بصيغة الكثرة في السبعة والخمسة والثلاثة مع أن العدد قليل إما
لأنه لا صيغة قلة له من حيث الاستعمال وإما للمشاكلة فيما تقدمه من الصيغ بتقدير
تسليم وجود صيغة القلة فيه وأما التنبيه على أنهم كثيرون من حيث الفضائل
وإن كانوا قليلين من جهة العدد التاسع قلوبهم على قلب دون كقلب أو مشبهة قوله
أو مساوية فائدته رفع توهم المساواة بين النبي وبين من ليس بنبي فإن كلمة على
لا تعطي مساواة كما دلت المساواة ولا تشبيها كاملا كما دلت التشبيه أو التأييب عن
ما دلت كمثل أو الكاف وبهذا يرتفع ما يتوهم من أن فيه تفضيل الملائكة على الأنبياء
كما سيأتي العاشر في قوله قلوبهم على قلب آدم دليل على أن محل العلم القلب فإن
أجر وجهي التشبيه كما قدمنا الاشتمال على صفة العلم وهذا آخر الأبحاث وبه
تم الكلام في شرح ألفاظ الحديث ذكرهم فلنذكر الآن ما يمكن أن يورد
عليه من الإشكالات والتفصي عنها فنقول إن قلت ظاهر الحديث
يدل بظاهره على أن القصد به الإخبار عن صفات أولياء الله تعالى وتفاوت مراتبهم

وان عدم اصطفى نبيا وفي نبيا من الانبياء المذكورين فيه وان الاقل عددا الكثر فضلا فالاربعون
افضل من ثلاث المائة والسبعة افضل من الاربعين والخمسة افضل من السبعة والثلاثة افضل من
الخمسة والواحد افضل من الثلاثة وحينئذ يلزم على هذا وجوه من الاشكال الاول
يلزم منه ان السبعة مثلا افضل من ثلاث المائة لانها افضل من الاربعين التي هي افضل من ثلاث المائة
والافضل من الافضل من الشيء افضل من ذلك الشيء وبهذا يتبين ان الواحد افضل الجميع وهذا
يحتاج الى نقل الثاني انه يلزم منه ايضا تفضيل بعض الانبياء على بعض لان السبعة التي
هي افضل من الاربعين قلوبهم كما تقدم على قلب ابراهيم وكان من موسى وانهم له وقد كانت السبعة
التي هي اخر انسا وهي افضل من الاربعين وليكن موسى وبها الذي هو ابراهيم عليه السلام
افضل من الاربعين لان مساوي الافضل افضل لكن الاربعون الذين قلوبهم على قلب موسى
كاهرانسا وفي ايضا موسى وقد كان ابراهيم افضل من الاربعين المساوية لموسى فيلزم
ان يكون ابراهيم عليه السلام افضل من موسى عليه السلام لان الافضل من المساوي للشيء
افضل من ذلك الشيء وبهذا ايضا يتبين ان موسى عليه السلام افضل من ادم عليه السلام لكن
تفضيل بعض الانبياء على بعض على التعيين يحتاج الى دليل يدل عليه ونقل من كان بعده يعتمد
عليه .. الثالث انه يلزم منه ايضا تفضيل الملائكة على الانبياء بالوجه الذي قررناه
في تفضيل الانبياء بعضهم على بعض وهو خلاف ما عليه الاكثر من اهل السنة .. الرابع
من وجوه الاشكال وهو اقواها انه يلزم منه تفضيل غير النبي من الادميين كالواحد مثلا على
النبي ولا قائل به اذ هو خرق للاجماع قلت هذا السؤال عظيم موقعه ومن اجله
كع كثير من اهل التحصيل عن التكلم في معنى الحديث وهو كان السبب في وضعنا هذا
المجموع ونحن الان نبين كيفية الانفصال مستعينين بالله وقد سبق منا الوعد
بالتكلم على هذا المعنى في اول المجموع بهذا او انه فنقول الجواب
على هذه الاشكالات كلها جواب واحد وهو ان قولكم ان مقصود الحديث من حيث
الظاهر الاخبار عن صفات اولياء الله قلنا مسلم قولكم انه يدل بظاهره على تفاوت مراتبهم
قلنا لا نسلم وانما الحديث في معنى ان العالم المجعول خلقه سببا لمعرفة الله تعالى والاعتناء
باظهار شرع محمد صلى الله عليه وسلم كما قدمنا غير مرة لا بد في بقائه ما دام الله بقاءه
في مثل هؤلاء الاعداد المشتملين على العلم واظهار دين الله والصبر على العشرة الذين
وبين



وبين النفوس في الربع من الانبياء والصلاح الصلاح والسعي في بقاء هذا العالم اقامة
عبادة الله واظهار شرع المصطفى صلى الله عليه وسلم واما ان بعض هؤلاء المتصفين بهذه
الصفات افضل من بعض فلا نسلم ان ذلك مقصود الحديث وعند هذا ينقضي الاشكال ويضمحل
بالكلية فان قلت ومن اين كان الاشتمال على هذه الصفات سببا في حفظ هذا العالم
قلت اما العلم كما في حق ثلاث المائة فانه من لم يعلم ما اصل معنى الشيء اما منفعة
او حكمة قد يضعه في غير محله وذلك هو الفساد بعينه وهو مناقض لما القصد من بقاء هذا
العالم الذي المعلومة لما ذكر واما الاظهار لدين الله كما في حق الاربعين فانه المقصود
بالذات كما يتبين واما الصبر على الفتنة كما في حق السبعة فانه لو لم يوجد به
ورخص في ترك الدين لاجل كل فتنة لكان ذلك اخل بالواجب اول شيء من الاداية تخلف
عن الدين وكان ذلك سببا لذهابه بالكلية واما بذل النفوس من الانبياء كما
في حق الخمسة الذين شابهوا جبريل في تلك الصفة فانه اخص من الذي قبله فان من يطلب
دين الله قد يكون ذلك مع حفظ نفسه ومن يرى ان اهل الصحابة والاتقاء من الهالك هو
النبي ويحط عن هذه الشعادة الاخروية ببذل نفسه دونه وتلقي المضرات التي لا بقاء لها
عنه ان يسيم وقد روينا في صحيح مسلم من حديث انس قال قال رسول الله صلى الله عليه من اهله
وسلم لا يومن عبد وفي رواية الرجل حتى اكون احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين وفي
رواية من ولده ووالده ومن هذا القدر كاف في تفاوت هذا والذي قبله وان كانا
في الاكثر متلازمين فان قلت ومن اين اعلى التفضيل وان هذه المرتبة افضل
من التي قبلها وانت قد نفيته قلت لم انف التفضيل في بعض المواضع ومن بعض
الوجوه وانما نفينا التفضيل الخاص الذي يلزم منه ما تقدم من الاشكالات وما يلزم
من نفي الاخص نفي الاعم واما الصلاح الصلاح كما في حق الثلاثة فان حكمته اعانة
الضعيف وايتلاف الكلمة وعدم تفرقها فانما المومنون اخوة والمسلمون كالبنيان يشد
بعضه بعضا والمسلمون تتكافا دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم
واما السعي في بقاء هذا العالم كما في حق الواحد فالمراد بذلك حفظ الامور
كلها ضروريها وحاجيها وتكميليها وتحسينيها وهذا الواحد انما يتاتى منه الفعل
بهذه الخطة مع وجود المسلمين على الصفات المتقدمة لا سيما على بعض الوجوه التي

اعتبرنا ما في تشبيه قلب أبي بكر بقلب إسماعيل وهو قيامه بالدين بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قتال أهل الردة وبني حنيفة على منع الزكاة الذي هو شبيه بإحياء الأمم
لكونه إحياء للسنة والله أعلم ولئن سلمنا أن الحديث يدل على التفضيل لكن لا
نسلم أنه يدل على التفضيل المطلق من كل وجه وإنما يدل على التفضيل من بعض الوجوه
مثلا أن الثلاثة أفضل من ثلاث مائة من حيث العلم الخاص لا من حيث العلم وكذا القول
في الأنبياء مع الملائكة على مذهب الجمهور من أهل السنة من أن الأنبياء أفضل فإنه إذا قيل
على من الملك أفضل من النبي فالمعنى فضيلته عليه من بعض الوجوه فالملك مثلا أفضل
من النبي في قوته فإن الملك أقدره الله تعالى على جعل عالي القرية سافلها والنبي لا يقدر
على ذلك ولا يلزم من ذلك تفضيله مطلقا على النبي الذي أكرمه الله بالعصمة مع ما ركب
فيه من الشهوة بخلاف الملك الذي هو عقل محض وإخراجهما من الأخرى فالنبي أفضل
ولو تصدينا إلى جلب الحجج والأدلة من الجانبين لخرجنا عن المقصود واقتضى ذلك تأليفا
مستقلا وسنشير إلى بعض ذلك في الخاتمة إن شاء الله تعالى ونظير ما ذكرناه من
أن التفضيل من بعض الوجوه لا يوجب تفضيلا مطلقا أن الإمام الأعظم فاتته فضيلة الغزاة
ولا يقال إن الغازي أفضل منه مطلقا لكون الإمام الأعظم تلبس بما هو أفضل من الشهادة وكذلك
الغازي فاتته فضيلة الشهادة فليس الشاهد أفضل منه ومثل المعنى كثير جدا ومن هذا المعنى
قول عمر لولا الخليفا لأذنت وبعض شرح الجواب عما لزم من تفضيل بعض من ذكر أحدا على بعض
عما لزم من تفضيل الملائكة على الأنبياء على تقدير تسليم أن الحديث يدل على التفضيل وأما
تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض على التعيين فلم أر فيه نصا جليا وإن كان العلماء
كثيرا ما يتعرضون لذلك وفي كلام القاضي أبي الفضل عياض ما يدل على أن المسألة خافية
وليس في تفاوت منازلهم في السماء ما يقتضي التفضيل لكون إبراهيم في السماء السابعة
وآدم في سماء الدنيا على ما تضمنه حديث الإسراء من صحيح مسلم لكن أجمعت الأمة
على أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق كلهم وقوله صلى الله عليه وسلم
لا تفضلوني على يونس بن متى فقيل إن ذلك نهي عن التعيين وقيل معناه أن يونس حين
كان في بطن الحوت في قعر البحر فالله أقرب إليه من حبل الوريد والنبي محمد صلى الله عليه
وسلم حين عرج به إلى سدرة المنتهى فالله أقرب إليه من حبل الوريد وبهذا الحديث
استدل



استدل أبو المعالي على أن الله ليس في مكان على ما نقل عنه في الحكاية المشهورة والصواب
أنه قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التأدب كقوله صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالشك
من إبراهيم وقد تقدم معناه وقوله صلى الله عليه وسلم ولو لبثت في السجن لبث يوسف
لأجبت الداعي أي رسول الملك الذي جاء يبشره بالخروج من السجن فقال ارجع إلى ربك
فهذا منه صلى الله عليه وسلم تأدب ومدح ليوسف بالتأني والصبر ولو على سجن حتى
تظهر براءته مما نسب إليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم إنما نبه على أنه كان يستعجل
مبادرة لرضوان الله وتلقيه بسرعة والله أعلم وأما ما ذكر السائل من تفضيل
غير النبي كالواحد على النبي على تقدير تسليم ظهور التفضيل في الحديث فليس بلازم لأن قوله
قلوبهم على قلب موسى عليه السلام مثلا لا يدل على المساواة كما قررنا وإنما يدل على أن مجموع
العدد حوى قلوبهم صفة من صفات قلب موسى عليه السلام لا جميع صفات قلبه حتى
يلزم المساواة فإن قلت قلب اسم جنس وقد أضيف إلى موسى فيعم كل صفات قلبه
وكذا قلوبهم وحينئذ تلزم المساواة قلت إن سلم فمثل هذا العموم بهذا الاعتبار من
العمومات التي يجب تخصيصها إما بالعقل أو بالعرف فيتعذر حمله على حقيقته والظاهر
والله أعلم أنه من باب المقتضى ولا عموم له في الجميع على المختار وإنما قلنا هذا لأنه لو حمل
على حقيقته من العموم للزم مساواة قلوبهم قلب موسى عليه السلام حتى في الشكل
والمقدار وكونه قلب نبي وغير ذلك وذلك معلوم البطلان قطعا فثبت أن حمله على حقيقته
متعذر فلا بد حينئذ من تقدير ليصح معنى اللفظ وهذا التقدير يصح الحمل عليها فصح قولنا
إنه من المقتضى وهو ما احتمل الحذف تقديرا لاستقامة الكلام وقد علم أنه لا عموم له
في الجميع فإنما هو مجمل على رأي بعض الأصوليين والمجمل ليس بحجة لأنه لم تتضح دلالته والحجة فرع
وضوح الدلالة وعلى تسليم أنه ليس بمجمل كما هو المذهب المختار يجب أن يقدر في الكلام
ما معناه قلوبهم كقلب موسى في الجهر على الكفار في الله وكذا يقدر في باقيها
ما يليق به مما لهم معناه كما تقدم ولا يلزم من ذلك المساواة وإنما قدرنا مثل ذلك
الحاجة وصحة الكلام والقواعد الأصولية فإن قلت دلالة العقل على عدم إرادة ته
من من العام يجب إخراجه ولا شك في عدم وجوب جعله مقدرا على جميع ما بقي كما لو
خص العام بمبين يكون حجة في الباقي عند الجمهور قلت قد بينا أن هذا من المقتضى فإنه

وهو الذي لا بد له من تقديره لصحة الكلام وفائدة كونه من أن العام إذا خص بمبين كان حجة في الباقي
إنما هو في العام الذي يصح حمله على جميع ما يصدق عليه ومسألتنا ليس كذلك إذ لا يصح حمله
على جميع ما يصدق عليه وإنما احتيج إلى الإضمار فيه لصحة الكلام وما وجب للضرورة قدر بقدرها
والحاجة تندفع بتقدير واحد فيجب الاقتصار عليه إذ لو أضمر الجميع بعد إخراج ما يتعذر لأضمر ما
مع الاستغناء عن الإضمار فإن قلت بل يتعين إضمار الجميع لأن الحمل على واحد معين
تحكم والحمل على واحد لا بعينه يلزم منه الإجمال وكلاهما على خلاف الأصل فإضمار الجميع أولى
دفعا للمحذور التحكم والإجمال قلت إن زمن الدليل فيه تكثير الإضمار وهو على خلاف الأصل
وما عداه غير إضمار في المجاز أكثر فكان عدم الإضمار أولى فيعارض هذا الدليل دليلكم ويسلم
دليلنا الأول وهو قولي ما وجب للضرورة قدر بقدرها ولو أضمر الجميع لأضمر مع الاستغناء
عن الإضمار والله أعلم وبتقرير هذا يتبين لك أن ما توهمه السائل من تفضيل غير النبي
كالواحد منا مثلا على النبي لا يلزم وبهذا تم الكلام في الواسطة والله الموفق
للصواب بمنه

## الخاتمة

وفيها فصلان **الأول** في إثبات الكرامة
والفرق بينها وبين المعجزة اعلم أنه ربما يختلج بالذهن مما تقدم في الحديث المذكور
من اتصاف بعض الخلق من البشر بصفات النبوة إنما يتفرع على تقدير ثبوت الكرامة
وهو أمر مختلف فيه فيعترض به فأقول أما على ما قررنا في شرح الحديث الكريم فلا
تعرض فيه للكرامة ولئن سلمنا أن فيه تعرضا للكرامة فلا شك أن كرامات الأولياء
جائزة عند أهل السنة خلافا للمعتزلة قال الإمام أبو المعالي وإلى مذهبهم مال الأستاذ
أبو إسحق انتهى وزاد غيره من المتأخرين الحليمي وهما من أهل السنة ونقل بعضهم
أنه كان مذهب الشيخ أبي محمد ابن أبي زيد ويقال إنه رجع عنه بعد تأليفه لرد القب تأليفا ونقل بعض
المتأخرين أن أبا الحسين لم يوافق المعتزلة والحق ما ذهب إليه أهل السنة رضي الله عنهم
من جوازها ووقوعها أما الجواز فلأن الكرامة أمر ممكن عقلا خارق للعادة
وكل ممكن خارق للعادة إذا فهو مقدور لله فالكرامة مقدورة لله أما الصغرى
فلأن ذلك حقيقة الكرامة إذ الكلام فيما كان من ذلك المعنى وأما الكبرى فلأن الأمر
الممكن الخارق للعادة ممكن تعلق القدرة به ودخوله في الوجود عقلا وكل ما كان كذلك
يصح تعلق القدرة به على ما تبين في محل إثبات قدرة الله تعالى فالأمر الممكن الخارق يصح
تعلق



تعلق قدرة الله به وكل ما صح تعلق قدرة الله به يجوز أن يقع إلا أن يدل الدليل الشرعي على منع
امتناع وقوعه والكرامة ليست كذلك إذ لا مانع من وقوعها شرعا فالخارق الممكن
يجوز أن يقع وهو المطلوب أما الصغرى فنتيجة مقدمتين قد تقدمتا وأما الكبرى فهي
قولنا وكل ما صح تعلق القدرة به يجوز أن يقع فلأنه لا مانع من اعتبارهما إلا التقبيح
العقليين وهما باطلان حسبما تبين في الكلام ومبنى على الاختصار فإن قلت
إذا جاز وقوعها وهي أمر خارق للعادة فما الفرق بينها وبين المعجزة قلت لا فرق
إذ ما جاز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يقع كرامة لولي إلا أن المعجزة تقع مقارنة لدعوى
النبوة والكرامة تقع دون دعوى النبوة ويستحيل ظهورها مع دعوى النبوة ممن
ليس بنبي لما جرت به عادة الله سبحانه وتعالى من أنه لا يظهر المعجزة على يد الكاذب
على ما تبين من وجه دلالة المعجزة على صدق النبي مما هو مقرر في الكتب الكلامية وأما
الوقوع فلقصة مريم وأصحاب الكهف وما ثبت بالتواتر المحصل للعلم
الضروري من ذلك الذي لا يجحده إلا معاند وشيء منها لا يكون معجزة لفقد شرطه
وهو مقارنته لدعوى النبوة والحق في أن الكرامة لا يجوز أن تقع من الولي مع
دعوى النبوة اتفاقا وفي جواز وقوعها مع دعوى التصريح بها على الولاية دون دعوى
النبوة قولان واحتج المنكرون بأنها لا تتميز عن المعجزة فلا تكون المعجزة دالة
على النبوة وفيه دور يسد باب إثباتها والجواب ما ذكرناه من أنهما يتميزان بالتحدي
مع دعوى النبوة وعدمه وهذا ما يحتاج إليه هنا وبقي مما يتعلق بهذه المسألة
ما لا يليق ذكره إلا في كتب الكلام

## الفصل الثاني في تفضيل الأنبياء على الملائكة

لعله أيضا تتشوف النفس إليه لما توهمه ظاهر الحديث من العكس وإن كنا قد أزلناه فنقول
قال الشيخ الآمدي مذهب أكثر أئمتنا والشيعة وأكثر الناس أن الأنبياء عليهم السلام
أفضل وذهبت الفلاسفة والمعتزلة والقاضي أبو بكر من أصحابنا إلى أن الملائكة أفضل انتهى
وذكر بعض المحققين من المتأخرين أنه لا نزاع في أنهم أفضل من الملائكة السفلية إنما النزاع
في الملائكة العلوية فقال أكثر أصحابنا الأنبياء أفضل وعليه الشيعة وقالت المعتزلة
والحليمي منا الملائكة أفضل وعليه الفلاسفة انتهى احتج الأولون بوجوه
منها قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم أمرهم بالسجود لآدم والسابق للفهم أمر

26

الاذن بالسجود للاعلى لا عكسه لا يقال هو سجود تعظيم لان قوله ارايتك هذا الذي كرمت
علي يدل على انه اسجاد تكرمة ومنها ان علم ادم والعالم افضل من غيره والسياق يدل
عليه ولقوله قل هل يستوي الذين يعلمون الاية ومنها ان للانسان عوايق عن العبادة
من الشهوة والغضب والحاجة الشاغلة وليس للملايكة شيء من ذلك والعبادة مع العوايق
اشق فتكون افضل لقوله عليه الصلاة والسلام افضل العبادة احمزها والمتلبس بالافضل
افضل والجواب الخصوص بالعقل والنقل اما العقل فلان الملايكة ارواح مجردة كمالاتها
بالفعل بخلاف السفليات والتمام اكمل من غيره ومنها ان الروحانية نورانية والجسمانية مركبة
من المادة والشهوة والمادة ظلمانية ومنها ان الروحانية اعلم لاحاطتها بما كان في العلم
الاول بما سيكون وبالامور الغايبة وعلومهم كلية امنة من الغلط والجسمانية بخلافه
والجواب ان ذلك كله مبني على القواعد الفلسفية التي لا نقول بها ولا نسلمها واما
النقل فامور منها قوله تعالى ولا اقول لكم اني ملك فاخبر ان الملك ارفع والجواب ان
الكفار قريش استعجلوا العذاب فتبرا منه اي اني لست كالملك في علم متى ينزل العذاب او لست
مثله في القوة كما يحكى ان جبريل عليه السلام قلب المؤتفكة ومن هنا يرفع لوطه باحدى
جناحيه فاين رتبة الافضلية ومنها قوله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان
تكونا ملكين فهما قد تعلقا لتحصيل ما هو ارفع من رتبتهما والجواب يحتمل انهما رايا الملايكة احسن
صورة وافخم خلقا واكمل قوة فخيل لهما انها الكمال والفضيلة ومنها لن يستنكف
المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملايكة المقربون وهو صريح في التفضيل كما تقول لا يانف على
هذا لا من هو اجل منه ولا يقال ولا من هو ادنى والجواب ان النصارى استعظموا المسيح
لكونه لا اب له فرد عليهم فيه الالوهية فالنهي ان تكون للملايكة الهة من جهة الاحرى لانهم لا اب
لهم ولا ام بل لو كان انتفاء الابوة موجبا للالوهية لكان انتفاء الابوة والامومة احرى وليس
هذا من المفاضلة في شيء والاصطلاح في المسالة من الجانبين كثير وانما اثرنا الاختصار وهذا
اخر ما قصدناه في شرح هذا العرض الكريم مع انا لم نطلع على نصه في اصل الجلية كما تقدم
وانما نقلناه من خط من نثق به وذكر انه نقله على نحو ما كتب والحمد لله وحده والصلاة على سيدنا
ومولانا محمد نبيه وعبده كمل بحمد الله وعونه والصلاة على سيدنا محمد واله وازواجه وذريته
وكان الفراغ من نسخه في اواخر شهر رمضان المعظم عام ثمانية وتسعين وثمانمائة على يدي